

محمد عودة

ناصريون

وماركسيون

هنا

الافتراء على الناصرية

والجهل بالماركسية

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

ناصريون .. وماركسيون

هذا

الافتراء على الناصرية

والجهل بالماركسية

محمد عودة

هذا رد على الدكتور فؤاد زكريا ، وعلى كل
الاساتذة والدكاترة الذين يحترفون تأييد كل
النظم والهجوم على نفس النظم ..

محمد عودة

ليس هناك يسارى يحمل مسئولية والتزام اليسار في مصر بأى معايير ، يرى أن هذا هو أنسب الاوقات الأثارة قضايا وخلافات سويت من زمن طويل بين أهم قسوى اليسار وأجنحته •

ولليسار مثله مثل كل العقائد والمذاهب خلافاته وصراعاته الفكرية والسياسية ولكن ما يجمعه خاصة في الشدة أكثر مما يفرقه •• وليس هناك بين اليساريين والناصرين أو الماركسيين أو الوطنيين التقدميين والراдикаليين من يمكن أن يجد أن هذا هو وقت مراجعة الحسابات وتصفيتهما فيما بينهم ، والانتهاء الى نتيجة قاطعة قاصمة هي ادانة اليسار جميعه وأهم فرقه •

وذلك لأن الاشتراكية وهى قضية ومبرر حياة كل اليساريين فى محنة وتعرض لهجمة ظالمة وعاتية فى مصر وهو ما يحتم على كل اليساريين من كل الفصائل والمذاهب أن ينسوا خلافاتهم ويتناسوها ليقفوا صفا واحدا دفاعا عن القضية الكبرى •

ان اليمين المصرى وكل قوى الثورة المضادة تشن حملة ضارية تهدف منها الى تصفية الاشتراكية كفكر أو تطبيق وأن تخرب القدر الذى تحقق منها ، ثم تعيد البديل الوحيد عنها وهو الرأسمالية •
وقد بدأت الحملة على مراحل ، وأثارت فى البداية عيوب

التطبيق وان الاشتراكية لا اعتراض عليها ولكن النقص
 كل النقص هو في الأسلوب الذي طبقت به والذي سبب كل
 الشكوك والمشاكل ، وفصلت الأخطاء وضخمت وكررت حتى
 اختلط الأصل بالفرع .. وانتقلت الحملة الى مرحلتها
 الاخرى وأن العلة لم تكن في التطبيق ولكن في الاختيار ذاته
 أى الاشتراكية وقد استوردناها وتعجلناها وفرضناها فرضاً
 في غير وقتها وغير أرضها وعلى شعب لا يتقبلها وغير مستعد
 لها وكان محتوماً أن تتعثر وتنحرف وتنتهي الى الفشل
 الكبير .

واقترنت الحملة بتقديم البديل .. وبدأ هذا بدوره على
 مراحل .. أولها الدعوة الى أنصاف القطاع الخاص الذي
 ظلم وغبن والذي لم يمنح الفرصة ليقوم بدوره وهو دور
 أساسى ثم المفاضلة بين القطاع العام الفاسد الذى تتحكم
 فيه البيروقراطية والروتين ولا يبالي بمصالح الوطن
 والناس وبين القطاع الخاص الذى يضطرم حيوية ونشاطا
 وحماسا للمغامرة والابتكار والتجديد والذي لابد أن تكون
 له — بمقتضى هذه المواهب والحوافز — الاولوية .

وبلغت الدعوة ذروتها في المطالبة بتصحيح الامور ورد
 الولاية الى القطاع الخاص ، بأن تزال كل القيود أمامه
 وأن يشارك في ملكية وإدارة القطاع العام وأن ينتهى به
 الامر الى قطاع حكومى ومسخر لخدمة الرأسماليين في

• القطاع الخاص •

ووقف أحدهم في مجلس الشعب وسط ممثلى التحالف
ليعلن أن من حقه وحق أى مواطن أن يثرى ويجمع المال
كما يشاء بل وان من حقه أن يحرق أمواله لو أراد •• وهذه
حرية لا توجد في قلاع الرأسمالية في العالم •

وفي ظل هذه المواجهة الحامية بين التقدم والانتكاس
والتي قد تقرر مصير كل شئ لا يمكن أن يكون مقبولا
أو مغفورا لاحد — يعلن عن نفسه انه من صـفوف
اليسار — أن يثير ويفتعل خلافا بين اليساريين لا يرحب
بأثارته ولا يفيد منه سوى الطرف الآخر المتربص
والمتوحش •

وقد يكون التزاما ضروريا على اليساريين جميعا في هذه
الاقوات أن يأخذوا مواقعهم وأن يحددوها تماما
ويصححوها وقد يكون عليهم أن يمارسوا أكبر قدر من
النقد الذاتى أو النقد المتبادل ولكن على أن يكون ذلك بما
يعزز تكاملهم وتضامنهم ومن أجل اشتراكية أفضل
فكرا وتطبيقا ومن أجل اشتراكية أنسب لواقع معقد
ومعركة طويلة ممتدة •

ولا يمكن أن يوصف بالبراءة أو الحكمة أن يضع
فيلسوف يقول أنه يسارى كل مسوحوه وأن يقف فوق منصة
ناظرا من أعلى ليعلم بكل الثقة أن ما حدث في مصر لم يكن

ثورة ، وأن لم تتم ديموقراطية أو اشتراكية وأن لم يكن هناك اشتراكيون أو ثوريون • وأن ما سمي بالناصرية لم تكن الإفاشية أهدرت حرمات مصر والمصريين وسحقت روح الإنسان المصرى •

لقد زيفوا — الناصريون — الاشتراكية وابتذلوها ، ولم يتعدوا فيما حققوه وأن أضافوا طبقة مستغلة جديدة الى الطبقات القديمة • • بحيث أصبح عمقها وعرضها ٥/٥ بعد أن كانت نصف في المائة ولا شيء آخر •

ولا يمكن أن يكون حرصا على اليسار وحفاظا على أصالته ورسالته من طرف نفس الفيلسوف أن يقف ليقرر بما لا يقبل الشك ، أن الجناح الآخر للاشتراكية والاشتراكيين، وهم الماركسيون، قد ارتكبوا أكبر الخطايا وأفظعها بأن خانوا قضية الاشتراكية وخدعوا أنفسهم والناس حولها • • وباعوا مبادئهم وأشخاصهم رخيصة ، حين وضعوا أيديهم في أيدي الناصريين وباركوا النظام الذي قام وأيدوه باسم الاشتراكية •

ويلقى الاستاذ هذه النتائج الجامعة المانعة بتجاهل كامل وجهل أيضا بأوليات العلم السياسى والواقع القومى وضد بديهيات الفروق والمواصفات بين النظم والمذاهب التى لا يعلم عنها ما يكفى • وهناك ظاهرة جديدة ، فريدة في مصر ، وهى انتحال

مفكرين ليبراليين ممن ينتمون في آخر المطاف الى صفوف
اليمنين •• لصفة اليسارية المفرطة وتقرّبهم للييسار الماركسي
لكي يلوموه ويعاتبوه ثم يبصروه بأخطائه وعثراته ••
وأهمها وأشدّها تحالفه ذات يوم مع الناصريين واصراره
حتى اليوم على هذا التحالف •

ومنذ بضعة أشهر وجه الاستاذ توفيق الحكيم رسالة
خاصة منه الى اليسار المصري •• تكاد تكون نسخة
طبق الاصل من « ملحمة » الدكتور فؤاد زكريا وتثير نفس
الحجج والذرائع حرفيا •

وتتمتد هذه الظاهرة الى دوائر كثيرة يمينية وبيروقراطية
لا يفوق كرهها للاشتراكية الناصرية سوى حقدها على
الشيوعية « الماركسية » ولكنها تقيم نفسها — فجأة —
ناقدة وناصرة للماركسيين تنبهم الى أنهم ارتكبوا
أكبر أخطائهم ذات يوم بالتحالف مع العهد الناصري وانهم
يضاعفون هذا الخطأ بالدفاع عنه اليوم وتأكيد ماحققوه،
بينما الموقف الصحيح « ماركسيا » هو أن ينضموا اليهم
في هجومهم لازالة كل آثار ذلك العهد وتصفيته تماما لكي
تقوم الحرية والديموقراطية ويشاركون فيها •
وقد يكون السيد الدكتور نقيا كالبلور طاهرا كابتسامة
الملاك ولكنه شاء أم أبى يقف مع هؤلاء ويقدم لهم أثمن
الخدمات •

واليمين في مصر قوة معلقة ومهلهة بلا جذور ولا أمل
أو مستقبل ، وهم يعيشون في قلق متصل يوما بيوم ..
وفي أفلاس فكرى وسياسى شامل ليس لديهم ما يقدمونه
أو ما يقنعون أو يخدعون به أحدا •

وقد تجاوز المشاكل والقضايا كل الحلول الى اليمين
اذا كانت هناك حلول ، وتقدم الوعي الوطنى والاجتماعى ،
بعد شاسع كل حجج ومقولات البورجوازيين والاقطاعيين
قوى حكم عليها الواقع والتاريخ •

ولهذا يلجأ اليمين المصرى الى وسيلة مستوردة لعلها
الوحيدة الباقية وهو يستورد من الغرب الصيغة التى
استطاع بها البورجوازيون الغربيون أن يؤجلوا نهاية
النظام لبعض الوقت •• وهى شق صفوف اليسار واذكاء
صراعاته وخلافاته الداخلية لتستغرقه وتستهلكه وتشغله
عن العدو الحقيقى •

وحينما ظهرت وازدهرت الحركة النقابية فى أوائل
القرن الماضى •• واعتنقت المبادئ الاشتراكية والثورية ،
وهددت النظام الرأسمالى كله ، عمل الرأسماليون بكل
ما استطاعوا على اشاعة الخلاف والفرقة فى صفوف
النقابات •• نقابات اصلاحية ونقابات ثورية ونقابات
مسيحية •• وأغرى الرأسماليون شريحة من العمال
غمروهم بالامتيازات والمزايا وخلقوا منهم « ارستقراطية »

عمالية » كما سميت كانوا اداة الرأسمالية المطبوعة في البطش بالعمال أو تضليلهم •

وفي مواجهة الحركة الاشتراكية الدولية التي ضمت كل الاشتراكيين في مواجهة الرأسمالية والامبريالية العالمية والتي جمعت عمال الغرب المستغلين أو شعوب الشرق المستعمرة التي أعلنت أن قضيتهم واحدة وأن طريق خلاصهم واحد •• هو الاشتراكية •• سخر الرأسماليون كل مايملكون ويستطيعون ولعبوا دورا أساسيا في انشقاقها انشقاقا كبيرا قبل الحرب العالمية الاولى الى اشتراكيين ديموقراطيين •• يرفعون شعارات الوطنية والديموقراطية والى ماركسيين ثوريين اتهموا بالأممية والعنف والديكتاتورية •

وبعد الحرب العالمية الثانية وانتصار الاشتراكية في مجموعة من الدول الكبرى والصغرى في أوروبا وآسيا ، وبعد انتصار ثورات التحرير الوطنية في أهم المستعمرات وبعد انتشار الافكار والمبادئ الثورية والاشتراكية في ارجاء عديدة وبعيدة من العالم ، تضاعفت حاجة الرأسماليين وأصبحت ضرورة حياة أو موت أن ييثوا الخلاف والفرقة ويشيعوهما في صفوف اليسار •• في الغرب أو الشرق أو العالم الثالث خاصة في هذا العالم !

ولازال العالم الثالث هو مصدر القوة والثروة ، وبعد تحرره وبعد انتقال الثورة فيه الى المطالب الاجتماعية وتطلعها الى الاشتراكية أصبح ضروريا للرأسمالية والاستعمار الجديد أن يصدرا « لعبة اليسار » على أوسع وأبرع مدى الى أهم بلاده ، وأقبلت قوى الثورة المضادة المحلية على تعلم أصول اللعبة بحماس .

وفي الغرب مثلا .. قهر اليساريون الفرنسيون خلافاتهم الحقيقية والمصطنعة وهي التي أخرت الثورة في بلد كان مقررا أن يكون طليعة الثورة ، والاشتراكية في أوروبا .. وكانت كل المقومات ناضجة بعد الحرب العالمية الثانية .. وقام ائتلاف من الاشتراكيين والشيوعيين حول برنامج عام مفصل خاضوا به الانتخابات واستطاعوا أن يكسبوا نصف الناخبين وأن يقفوا على مشارف السلطة في انتخابات رئاسة الجمهورية .

واعتبر ائتلاف اليسار الفرنسى أخطر تحدى واجهته البورجوازية الفرنسية عامة ، وتجمعت لمقاومته كل أجنحتها .. من البورجوازية الاطنطية المؤمنة بالولايات المتحدة والحلف الغربى الكبير الى البورجوازية الوطنية الديجولية المؤمنة بفرنسا وأوروبا المستقلة بل وساندتهم كل البورجوازية الاوروبية والامريكية وذلك لان قيام فرنسا الاشتراكية الديموقراطية وفي ظل حلف، يسارى

شامل هو ثورة فرنسية اشتراكية سوف تطيح بهم ولا بد أن
تعم أوروبا كما فعلت الثورة الفرنسية الاولى *

وفي ايطاليا أصبح الحزب الشيوعي الايطالى ،
بنظرياته وتطبيقاته المستقلة والحكيمة هو القوة الاساسية
الثانية بعد الحزب الديموقراطى المسيحى ، وهو القوة
التي تقدم البديل والامل . وقد حكم الديموقراطيين
المسيحيون ايطاليا أكثر من ربع قرن منذ نهاية الحرب
العالمية الثانية . . ولكن انتهت ايطاليا تحت حكمهم الى
أن أصبحت « رجل أوروبا المريض » كما تسمى ، وتطلعت
جماهير كبيرة الى الحزب الكبير الآخر والقادر وهو
الحزب الشيوعي *

وفي آسيا . . خرجت الهند بعد الاستقلال تبشر بأن
تكون قيادة الثورة الآسيوية عامة * وتقدم مثالا يحتذى
للدولة والمجتمع الآسيوى الديموقراطى الاشتراكى *
ولكن دب الصراع واستفحل بين حزب المؤتمر وبين
الشيوعيين وبينه وبين الاشتراكيين وانقسم الحزب الى
يسار ويمين . . ثم انقسم الحزب الشيوعي الى عدة
أحزاب ثم انقسم الاشتراكيون الى سلسلة أحزاب
وتنظيمات ودارت الهند فى حلقة مفرغة . . وتعثرت فى
خطوات ثقيلة بطيئة . . وازاء مشاكل هائلة تلح فى
الحلول *

وأرادت انديرا غاندى أن تعيد بناء حزب المؤتمر وأن تطرد الرجعية منه وأن تعيد له ذاتيته ومكانته ، وأن تضم اليه من خرجوا أو انسحبوا منه وأن تقيم تحالفاً لاوسع مدى مع القوى اليسارية والتقدمية الأخرى •• لتنهض بالهند وتكمل المسيرة •• وقام تحالف بين حزب المؤتمر وبين الحزب الشيوعى الهندى •• هو قاعدة الاستقرار الآن فى الهند •• ولكن تنصب عليه كل الحملات والهجوم •• وبينما تتهم انديرا أنها تسلم الحزب والسلطة للشيوعيين •• تتهم هؤلاء من الجانب الآخر أنهم باعوا أنفسهم للبورجوازيين •

ولم يأت الدكتور فؤاد زكريا بجديد !

وفى آسيا أيضا كانت بورما بعد الحرب العالمية الثانية هى شرارة القارة الملتهبة وكان السؤال هل تكون « بورما » بحرارتها وحيويتها أم الهند بحكمتها وقوتها هى القيادة الاولى فى آسيا •• ولكن ما لبثت الصراعات والخلافات والمعارك الايديولوجية والمسلحة ان شتت صفوف الاحزاب الوطنية والاشتراكية والماركسية •• وأصبحت بورما تضم أكبر عدد يمكن أن تضمه دولة صغيرة من أحزاب عاجزة متحاربة •• وأصبح تاريخها هو حرب أهلية دائمة واختفت تماما من خريطة آسيا السياسية ••

ولابد ان تتعلم مصر وتستخلص كل هذه الدروس لا ان

تكررها أو تزيد عليها ، وخلافات اليسار في مصر بيزنطية
اكاديمية « غير ذات موضوع » وفق الوصف المشهور •
وقد وقف أنجلز يؤبن ماركس يوم وفاته وقال : « أن أعظم
اكتشاف قام به كارل ماركس انه اكتشف ان الانسان
لا بد له ان يأكل ويشرب وينام تحت سقف لكي يفكر
ويتفلسف ويتدين » وهذا هو جوهر الاشتراكية والذي
يتفق عليه الناصريون والماركسيون والوطنيون التقدميون،
أو مايجب ان يتفقوا عليه في بلد لا يحلم ٩٩٪ من أهله
بأكثر من هذا •

واشد مايثير جزع اليمين في مصر هو ان تتحد قوى
اليسار حول هذه القضية وان تبذع الافكار والحلول
الخصبة والخلقة •

لا شيء يثير قلق وفزع اليمين في مصر مثل ان يتفق
الناصريون بشعبيتهم وجماهيريتهم مع الماركسيين بفكرهم
وتجاربيهم • وان يتشرب الناصريون تراث وتطبيقات
الماركسية في اطارهم القومي • وان ينضم الماركسيون
وينصهروا في المجرى العام للثورة المصرية وكل التراث
المصري والعربي وان تقدم مصر الفيض المبتكر والاصيل
الذي تقدمه دائما •

ولا يكل اليمين عن السعى المتصل المحموم لكي يمنع
قيام هذا الحلف ، وهم يلعنون الناصرية والناصرين على
كل المنابر ولكنهم يستديرون ليطبعوا قبلة الموت على

وجنات الماركسيين وهم يسـتميتون في محاولة انتزاع الماركسيين لأن ينضموا اليهم في تصفية الناصريين ، وبعدئذ يستديرون لتصفيتهم أو ابقائهم قوة سياسية نظرية معزولة مع توازن تحكمه البورجوازية بدقة • والخلافات والصراع الذى نشب ذات يوم بين الناصرية والماركسية لم يكن بدعة أو خرقا لقوانين التاريخ • والصراع بين المذاهب والعقائد وفى داخلها هو تاريخ الحياة الروحية والفكرية للانسان •

ومع الصراعات المفتعلة تقوم وتثور صراعات حقيقية قد تدوم لوقت طويل أو قصير ، وتحل حولا ايجابية بتفاعلات ومصالحات تثرى وتخصب فكر وممارسة كلا طرفي الصراع •

ومهما يكن الصراع الذى نشب ذات يوم واشتد بين عبد الناصر والماركسيين الا انه كان صراعا وخلافا بين ثوار وكان أيضا أقل حدة وعنفا من الصراع داخل حزب شيوعى واحد أو حزب اشتراكى واحد • وقد كان طبيعيا وحتميا بالقدر الكبير المشترك من الصدق ومن الايمان بالثورة ان ينتهى الى تكامل وتعايش فى اطار الثورة المصرية الكبير •

وحينما حمل احد أقطاب الثورة واليسار الماركسى الى عبد الناصر قرار الماركسيين بالاندماج فى الثورة ، وحل الحزب الشيوعى المصرى قال له عبد الناصر على الفور

« الآن نستطيع ان نبني الحزب الثورى الذى يضمنا جميعا » .

والصراع بين قوى الثورة وفرقها المختلفة يحل عادة حولا تتوقف على ميزان القوى فيما بينها ، وعلى قوة وقدرة وشعبية كل منها .

واذا كان الماركسيون المصريون قد انتهوا الى الاندماج الكامل فى المجرى العام للثورة المصرية فان هذا لم يكن استسلاما أو استيعابا ، ولكن كان تقديرا صحيحا لميزان القوى ورؤية حكيمة سليمة لطريق المستقبل .

والماركسيون المصريون فى صفوف الثورة لم يكونوا ذيلا ولكن رافدا هاما اضاف الى قوتها واصالتها وأثر فيها بقدر ماتأثر بها . . . وقد سد الثغرة فى الوحدة الوطنية والفكرية لمصر . . . وليس هذا بالشئ الجديد المستحدث على الوطنية أو على الماركسية .

وقد كان أول نموذج للتحالف بين الوطنيين والماركسيين فى الشرق فى الصين فى بداية الثورة بعد الحرب العالمية الاولى .

وكانت الثورة يومئذ بقيادة الزعيم « صن يات صن » ، وكان أول زعيم اسبوى ادرك ماتعنيه الثورة الروسية والنظام الجديد الاشتراكى بالنسبة لتحرير الصين . . . وآسيا عامة ، وأقام أول تحالف وثيق بين الثورتين وبين البلدين .

وقد كون « صن يات صن » حزب الكومنتاج الوطنى ،
 وقرر الشيوعيون الصينيون الذين الفوا حزبهم فى أوائل
 العشرينات قبول دعوته للانضمام الى الحزب الوطنى ،
 ولكن كافراد عاديين واعضاء عاديين وبغير عضوية مزدوجة
 أى بعد ان يتخلوا تماما عن عضوية الحزب الشيوعى
 وبهذا التحالف والاندماج •• جرفت الثورة كل الصين
 وتحققت وحدتها الوطنية •

ولعله لو عاش صن يات صن وقتا اطول ، ولم ينتكس
 تشيانج كاي شيك بالثورة ويفض التحالف لا ستمر واخذت
 الصين طريقا آخر خلافا نحو نفس الاهداف •

والعلاقة بين الوطنيين والماركسيين تختلف من بلد الى
 آخر وفق الواقع والتراث وعلاقات القوى ، ولكن تحكمها
 كلها قوانين ومبادئ ماركسية تلزم الماركسيين ان يقفوا
 وقفة كاملة مع أية ثورة وطنية تقاوم الاستعمار حتى ولو
 كانت قيادتها وبرامجها بورجوازية • وقد كتب ستالين
 فى دراسة مشهورة له عن اللينينية سنة ١٩٢٠ : « ان أمير
 افغانستان الاقطاعى الذى يقاوم البريطانيين قوة تقدمية
 نؤيدها كماركسيين • والثورة المصرية التى تقودها
 البورجوازية المصرية (ثورة ١٩١٩) ثورة تقدمية
 نؤيدها كماركسيين ، ولكن حزب العمال البريطانى الذى
 يقمع الثورات الوطنية فى آسيا وأفريقيا هو ثورة رجعية
 نقاومها مهما رفعت من لافتات عمالية واشتراكية » •

وعلى هذا الاساس « الايديولوجى » ايد الاتحاد
السوفييتى منذ قيامه وحتى الآن ثورات التحرير الوطنية
فى آسيا وأفريقيا •

وقد ينكر الاستاذ الدكتور على عبد الناصر كل فضل
أو مزية ، ولكن عبد الناصر باجماع الاسيويين والافريقيين
مثل العرب والمصريين كان أحد أبطال العصر والنضال
الوطنى ضد الاستعمار ومن اجل الاستقلال والحرية •
وقد كان على الماركسيين المصريين وفقا لاول بديهيات
الماركسية ان يتقبلوا قيادته وان يسيروا خلفها خلال
معاركه الفاصلة ، ولم يكن ذلك تبعية ولا ذيلية ، ولكن
ماركسية صحيحة !

والثوار ، وطنيين أو ماركسيين ، لا يرون العالم من خلال
مصالحهم مثل البورجوازيين أو من خلال ذاتهم مثل
المتخفين النرجسيين ، ولكن يرون حركة التاريخ وقوانينه
ويقدمون الثورة على كل اعتبار آخر !

وحينما وقع الانقلاب الرجعى فى كمبوديا سنة ١٩٧٠ ،
كانت العلاقة بين سيهانوك والماركسيين تمر بأزمة حادة
لا تقل عنفا عن الازمة بين عبد الناصر والماركسيين فى نهاية
الخمسينيات •

وعرض النظام الانقلابى على الماركسيين هناك ان
يؤيدوه مقابل حرية العمل والحركة وبعض المناصب ••
ان تكون لهم شرعية ونفوذ فى الحكم •

ولكن برؤية صحيحة وعملية للاحداث ومسار التاريخ
رفض الماركسيون العروض ، بل ذهبوا من اللحظة الاولى
ينددون بما وقع ويكشفون طبيعته الحقيقية •

وأرسل الماركسيون الى الامير سيهانوك الذى أعلن من
الخارج بدء المقاومة لاسقاط الانقلاب — بيان تأييد — هو
وثيقة سياسية ثمينة وفريدة أصبحت من تراث الثورة
في كل آسيا . أعلن الماركسيون بدء صفحة جديدة
ومبايعتهم لسيهانوك زعيما وقائدا للشعب والمقاومة •

وتكونت فى المنفى حكومة مقاومة هى « الحكومة الملكية
للوحدة الوطنية برئاسة سيهانوك »

وتكونت فى الداخل جبهة وطنية من كل القوى الوطنية
والمناضلة تحت قيادة سيهانوك • وتكون جيش تحرير
جديد للحرب الثورية ، كان قائده الاعلى سيهانوك •

واستمرت المقاومة خمس سنوات تكلفت فى نهايتها
بانتصار تاريخى • واجتمعت الجبهة بعد سقوط الانقلاب
وتحرر كمبوديا وقررت مبايعة سيهانوك من جديد رئيسا
للدولة وزعيما لكمبوديا • !

ولهذا تغدو سذاجة قاصرة ان لم تكن مغالطة متعمدة
ان يقال ان تصالح الثورة والماركسيين فى مصر كان صفقة
أو خدعة أملت لها ظروف دولية •

ونود ان نسأل الأستاذ الدكتور ما هو الموقف النوزجى
الذى كان يجب على الماركسيين ان يقفوه مع عبد الناصر ،

وهو يملك من حوله الجماهير المصرية والعربية وتؤيده الى آخر مدى المعسكر الاشتراكي والحركة الثورية الدولية ، وتمجده جبهة العالم الثالث الاسيوية الافريقية كأحد أبطالها .

هل كان واجب الماركسيين حينئذ ان يعلنوا المقاومة ضده وان ينددوا به أمام كل هذه القوى والملايين .. واذا كان هذا ماينبغي فلماذا لم يجاهر به الدكتور وينصحهم يومئذ ، وقد كان على الصوت في منبر من أهم منابر الفكر يرأس تحرير مجلة « الفكر المعاصر » !

ولعل الاستاذ الدكتور لا يعرف قصة اخرى ، ان المبادئ الماركسية تقضى بان ينتهى التحالف بين الماركسيين وبين الوطنيين الثوريين بعد ان يتحقق الاستقلال ويتسلم الوطنيون السلطة ويقيموا الدولة « البورجوازية » وتبدأ حينئذ بالنسبة للماركسيين معركة الثورة الاجتماعية وأقامة الاشتراكية ، والانتقال بالثورة مرحلة أخرى يحملون تبعاتها وقيادتها .

ولكن حدث ان قدم عبد الناصر نموذجا في الزعامة الوطنية والثورية ادى الى تغيير جوهرى في الفكر والاستراتيجية الماركسية في كل دول العالم الثالث . فقد اختار عبد الناصر الاشتراكية ، وبعد تحقق الاستقلال رفض الرأسمالية وأعلن الاشتراكية العلمية .

وكانت ظاهرة جديدة استغرقت اعمق البحث والجهد في الاتحاد السوفيتى وبلاد المعسكر الاشتراكي ، وفي الحركة الدولية ، وانتهى بالخط الفكرى والسياسى الجديد الذى كان عبد الناصر رائده الاول ، وقبل عن هذا الخط انه اذا ما اختارت القيادات الوطنية الثورية في البلاد التى تحررت الاشتراكية فان على الماركسيين ان يكملوا المسيرة والتحالف معها وتحت قيادتها ولبناء المجتمع الاشتراكي الجديد النابع من تراث وخصائص وظروف كل بلد .. ويستمر التحالف كما بدأ وفق الواقع وميزان القوى الخاصة في كل بلد .

وقد كان واجب الدكتور المتجرد المنزه عن الاغراض ان يصحح معرفته ببعض الشئء بالماركسية قبل ان يصدر حكما بادانة الماركسيين المصريين ! ولكن هل كانت الناصرية ذاتها فاشية سحقت مصر والمصريين ، وكان على الماركسيين ان يقاوموها كما يقول الدكتور ، أم كانت ثورة وطنية اشتراكية حررت ملايين مصر المسحوقة وعلى الماركسيين ان ينضموا اليها ويؤيدوها .

وهل كان عبد الناصر ديكتاتورا على الماركسيين ان يقفوا في وجهه أما كان بطلا قوميا عليهم ان يبايعوه ويتبعوه . ان نقد فيلسوف مفكر للثورة أو تقييمه لها يجب ان يكون نقدا علميا قائما على منهج وموقف ورؤية واضحة ،

ولابد ان يبدأ بنقد فكر الثورة ثم تطبيقاتها وسياساتها وبهذا يستطيع ان يكشف عن طبيعتها ، فاشية كانت ، أم اشتراكية .. وهل كانت متناسقة متكاملة نظريا وعمليا أم كانت منفصلة زائفة •

وللناصرية فكرها الذى سجلته مواقفها ، وكان بحثا متصلا وخلاقا عن مصر وعن افضل طرق ومناهج الخلاص وتطور هذا الفكر من منشورات الضباط الاحرار قبل الثورة الى اعلان المبادئ الستة بعد نجاحها مباشرة الى كتاب فلسفة الثورة فى منتصف الخمسينات الى نقطة التحول فى الميثاق الوطنى واعلان الاشتراكية ، ثم بيان ٣٠ مارس بعد النكسة وبداية الثورة على الثورة .. وفى النهاية مناداة عبد الناصر بثورة ثقافية كاملة قبل وفاته بقليل !

وقد كان للثورة خطوطها السياسية الثابتة وتطبيقاتها ، اجلاء الاستعمار القديم ، وصد الاستعمار الجديد وتأمين استقلال مصر وسيادتها الكاملة ، وذلك بالاندماج بقوى الثورة العربية وقيادتها والالتحام بقوى الثورة الاسيوية الافريقية ضد الاستعمار والقيام بدور طليعى فيها ، ثم التحالف مع قوى الثورة الاشتراكية العالمية .. تحالفا متكافئا فى اطار الاهداف والمصالح المشتركة •

وفى الداخل كان للثورة هدف واحد هو تصفية المجتمع القديم المستغل واقامة مجتمع جديد يحقق العدل والرخاء

والحرية والخبز معا .. واثبتت تجربة الثورة انه لا يتحقق
الا بالاشتراكية *

ونقد الثورة يبدأ من مسح ماحققته وما لم تحققه
بالدراسة وبالحقائق والاحصاءات ، ولكن الأستاذ
الدكتور قدم بدلا من هذا نقدا فريدا هو خليط مبتور من
دعاوى رجعية يمينية ودعاوى طفولية يسارية أيضا ، ومن
أحكام قاطعة هو وحده الشاهد عليها ومن نتائج جاسمة
بلا مسببات أو مقدمات وباسم الموضوعية المطلقة ..
والثلى !

وهناك مقياس واحد لنجاح الثورة أو فشلها ولاصالتها
أو زيفها بالنسبة للمصريين .. وهو ماحققته للقضية
المصرية وهى قضية محورها وجوهرها تحرير مصر ..
وهو الحلم التاريخى لكل المصريين والذى توارثوه جيلا
بعد جيل ، وثار وانتفض لاجله الملايين ، وسـجـن
وعذب واستشهد فى سبيله عشرات الالوف *

الثورة التى تثبت نفسها هى التى تحرر مصر .. ولم يكن
تحرير مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم بعد قيام
الثورة تبعه سهلة * كان أعسر واعقد منه فى أى مرحلة
أخرى من مراحل كفاحها .. كان الاستعمار القديم البريطانى
أشد تشبثا بالبقاء من أى وقت آخر .. وكان الاستعمار
الجديد الأمريكى متربسا ومثلهفا على الحلول ، وكان
العالم منقسما الى كتلتين تتصدر كل منهما دولة أعظم *

وبينما حرب كونية شاملة باردة وعلى حافة ان تغدو حربا ذرية ساخنة .. وكانت الكتلة الاولى الغربية ترى ان عصر القوميات والسيادة والاستقلال قد انتهى ، وان عصرا جديدا هو عصر التكافل والاحلاف قد بدأ . ليس لاي دولة مكان مستقل عن الآخرين في مواجهة خطر الشيوعية ، وكانت الكتلة الاخرى الشرقية ترى ان انقسام العالم قد وضع شعوب العالم ودوله ، خاصة التي تحررت من الاستعمار ، أمام اختيارين لا ثالث لهما ، اما الوقوع في استعمار جديد في ربة الكتلة الغربية أو اختيار طريقها « الماركسي – اللينيني » وهو الطريق الوحيد لحماية الحرية واستمرار الثورة . وليس هناك طريق ثالث .. وكان اقصى مايسمح به الاستعمار بالنسبة لمصر في ظل عالم مابعد الحرب هو استقلال شكلي أو جزئي في فلك الغرب أو في اطار حلف من الاحلاف ، كانت مصر وكان الشرق الاوسط كله ضرورة استراتيجية واقتصادية قصوى بالنسبة للحرب الباردة واعادة بناء اوربا .. الذي كان يعتمد على البترول العربي .

كان الاستقلال التام استفزازا وتحديا للاستعمار القديم والجديد معا ، ولا يحجمان عن شيء في سبيل منع تحقيقه .. ولكن هذا الاستقلال كان اقل ماتقبله مصر بعد سنين وحقب الامل والكفاح ، وبعد كل ماقدم من تضحيات .. كانت تبعة تحرير مصر ثقيلة دقيقة تتطلب

من الشجاعة والجرأة. بقدر ماتتطلب من الحكمة والحكمة
وتعتمد على القدرة على شن الكفاح المسلح ، بقدر ماتعتمد
على قدرة مماثلة من الكفاح السياسى والدبلوماسى •
وسواء اعترف الاستاذ الدكتور أم لم يعترف فان احدا
آخر لا ينكر على عبد الناصر انه قام بالمهمة ونجح فيها
بادراكه لحقائق العصر وابعاده بقدر ادراكه لعناصر
القضية المصرية •• وأثبت أهليته للقيادة الجديدة وأنها
ماكانت تحتاجه وتنظره مصر بعد ماتهاوت وفشلت كل
القيادات والقوى السياسية السابقة وتجاوزها التاريخ
وسير الاحداث •

ومنذ نهاية الحرب ، ولدت مصر « جديدة » مع
العالم الذى تمخفضت عنه الحرب ، وكانت احزاب
وتنظيمات وقيادات ١٩١٩ وما بعدها لم تعد مناسبة
وملائمة •

وقد ادركت الثورة ان مصر المستقلة التى تصر على
استقلالها وسيادتها كاملة ، والتى ترفض أى مساس بها
واى تبعة للشرق أو الغرب ، لاتستطيع أن تأمن على
استقلالها وسط القوى العظمى والاعظم ووسط صراعات
وتيارات العصر المتلاطمة اذا عاشت جزيرة معزولة وسط
محيط يلتف حولها من المستعمرات والمحميات ومناطق
النفوذ • وانه لابد أن يكون هناك مجال حرية حيوى لابعد
مدى يحيط بها ويؤمن استقلالها •

وكان الالتحام بحركة التحرر الوطني وثورة العرب
هو أول الخطوات •

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية بل وفي اليوم التالي
لنهايتها مباشرة •• انفجرت الانتفاضات والثورات العربية
متتابة في المغرب والمشرق •• من الجزائر الى سوريا
ولبنان والعراق •• وتداعت الفواصل والموانع التي أقيمت
لعزل العرب عن بعضهم البعض واندلعت شرارات ونذر
الوحدة القومية بين شعوب أمة واحدة عربية تختلف كل
الاختلاف عن الوحدة « الرسمية » التي كانت بقيام
الجامعة العربية •

وكانت كل الثورات والانتفاضات تبحث كل منها عن
الآخرى وترى فيها امتدادا وسندا متبادلا وكانت كلها
تبحث عن محور اساسي تلتف حوله طليعة وقيادة تاريخية
لتقدمها ، وهنا قدمت ثورة ٢٣ يوليو كل ما كان مفقدا •
ومنذ نهاية الحرب انتفضت شعوب آسيا وملايئها ضد
الاستعمار والامبراطوريات القديمة وتنازلت الثورات
عنيفة عارمة ضد البريطانيين والفرنسيين والهولنديين
وامتدت الثورة الاسيوية الى افريقيا والى أمريكا اللاتينية
وهي القارات الثلاث التي وقعت عليها كل وطأة الاستعمار
واستنزافه •• والتي قام منها « عالم ثالث » بين العالم
الغربي الاستعماري والعالم الشرقي الاشتراكي •
وبدأت الدول المتحررة والثائرة تبحث عن « تكافل »

جماعى فيما بينها ، يواجه الكتلتين ، ويحمى استقلال من
استقلوا ويقف مع كفاح من لزالوا يحاربون من أجل
حريتهم فالحرية واحدة لا تتجزأ والاستعمار فى أى مكان
تهديد للاستقلال فى كل مكان •

وهكذا قامت مجموعة باندونج وجبهة الحياذ وعدم
الانحياز • وكانت مصر أحد أعمدتها الرئيسية ، والجسر
المتين الذى يربط الاسيويين بالعرب وبالأفريقيين ، وكانت
القيادة الفتية المتحدة فى المنطقة الحاسمة •

وبعد قيام مجموعة باندونج ووضوح اهدافها وتأكيد
قوتها وقدرتها غيرت الكتلة الشرقية موقفها ، ولم يعد
هناك اختياران فقط امام الدول التى تحررت • واعترفت
الكتلة الاشتراكية بدولتيها الرئيسيتين (الصين والاتحاد
السوفيتى) بالطريق الثالث وبحق كل دولة فى أن
لا تتحاز لاي من الكتلتين ، وبأن هذا هو تأكيد للاستقلال
وحق تقرير المصير ، ومساهمة وضمانة لتحقيق السلام ،
بينما اصرت الكتلة الغربية على رفضها للحياذ وعدم
الانحياز واعتباره قصر نظر بل وسياسة « لأخلاقية » •
وكان دور مصر تغيير نظرة وسياسة الكتلة الاشتراكية
رئيسيا وحاسما — فان صدق الثورة وقيادتها أقنع
الاشتراكيين ان عدم الانحياز ليس انتهازية وليس
مناورة « ركوب سرجين أو اللعب بحبلين » • ولكنه
تشبث بالاستقلال • وتمسك بالارادة • ولكل بلد

وشعب طريقه وابداعه الخاص •

وبعد اعتراف الكتلة الاشتراكية بالحياد وعدم الانحياز أصبح التناقض بينها وبين العالم الثالث ثانويا واختلافا على التفاصيل والطرق المؤدية الى نفس الاهداف •• ولهذا توثقت العلاقة بين المعسكر الاشتراكي وبين هذه الدول ، واستطاعت ان تكسر الحصار التكنولوجي والاستراتيجي الذي فرضه الغرب على العالم الثالث حتى لا يتصنع أو يتسلح •

واقامت مصر وثورتها •• أوثق علاقة بهذا المعسكر وذلك لشدة وطأة التحديات ولعمق وصدق التحولات والتغيرات التي ارادتها الثورة •• وأستطاعت مصر بالسند العربي والسند الاسيوي الافريقي ، والسند الاشتراكي الدولي ان تبني مكانتها الدولية وان تحقق الاهداف الرئيسية للثورة •

لكن الرجعية نددت ، ويشهد كل يوم هذا التنديد بسياسة الثورة الخارجية في تلك الفترة « الناصرية » ، فهي ترى — كما يرى الدكتور فؤاد زكريا — انها كانت توسعا ومغامرة تفوق كل طاقات مصر وامكانياتها •

والرجعية معذورة في ذلك فهي لا ترى في مصر أكثر من ضيعة خصبية يسرحون ويمرحون وينعمون بها في كنف دولة استعمارية كبرى ، تماما كما فعلت الاسرة المالكة القديمة وباشواتها وبكواتها في كنف بريطانيا •

ان السياسة الخارجية « الناصرية » لم تكن قط مغامرة أو توسعا ، ولكن تحقيقا للذاتية والوجود المصرى على خريطة العالم بعد غياب طويل • ومصر ليست مجرد حقيقة جغرافية كما كان يقول البريطانيون ولكنها شعب وحضارة ودولة ذات دور وتاريخ لامناص من أن تقوم به فى العصر الحديث ، بعد استعادة استقلالها وشخصيتها ، تماما كما قامت به فى العصر القديم وعلى مدى التاريخ • والعالم المعاصر متشابك متكامل وليست هناك قضية أو مشكلة منفصلة عن باقى القضايا ولا تستطيع دولة ولا يستطيع شعب يريد ان يثبت جدارته ، وان يؤكد ذاتيته ، ان يدير ظهره لصراعات ومتغيرات العالم ويتصور بهذا أنه يحتذى منها ولا بد للبلد الذى ينشد حماية حقيقية لسيادته ان يواجه العصر وان يحدد مبادئه ، كما يحدد مواقفه ومصالحه ، وبذلك لا يتجاوز التاريخ أو يجرفه • ان السياسة الخارجية فى هذا العصر بالذات لا تتفصل عن السياسة الداخلية • وهى حقيقة ربما كانت اشد مغزى بالنسبة لمصر •• لموقعها ومكانتها ، وللمطامع والصراعات المستميتة حولها ولتشبثها باستقلالها ومكانتها •

وقد أصبحت مصر « الناصرية » بسياستها الخارجية وبدورها العربى ودورها الاسيوى الافريقى وبعلاقاتها ومحالفتها مع قوى الثورة الوطنية والاشتراكية فى العالم،

قوة لا يملك أحد أن يتجاهلها ولا أن يمس حرمانها •
وإذا كانت قد حدثت اخطاء في السياسة الخارجية
العربية أو الدولية ، فانها لم تقض علينا ولم تكسرها ،
ولكنها عركتنا وقد كانت مصر المستقلة تخرج الى العالم
وتمارس السياسة العربية والدولية لأول مرة ، وفي عالم
معقد غير متكافئ • وكان نجاحها باهرا ولا يقاس في شيء
بالاخطاء التكتيكية التي حدثت •

وتكفى نظرة الى خريطة العالم العربى اليوم • حيث نم
تعد الجزائر مقاطعة فرنسية ، واليمن امامة من القرون
الوسطى ، وليبيا ثلاث مناطق نفوذ لثلاث دول أجنبية ،
والعراق قاعدة لحلف غربى • • • وحيث تقف القوات العربية
المسلحة قادرة في مواجهة الامبريالية الامريكية والصهيونية
واثقة أن مصيرها لن يختلف عن مصير كل المستعمرين
السابقين •

وتكفى نظرة على خريطة العالم الاسيوى الافريقى
الذى ربطت مصر ثورتها بثورته ، حيث سقطت وتتساقط
الامبراطوريات القديمة البريطانية والفرنسية والهولندية،
ثم البرتغالية وأخيرا ومن حالىق عال الامبراطورية
الأمريكية •

يكفى هذا ليؤكد صحة الرؤية الناصرية لدور مصر
وموقعها من العالم والعصر الحديث وهو أساس سياسته

الخارجية ، قام عبد الناصر بثورة وطنية هدفها الاول هو الاستقلال ، وكان يكفيه دورا وفخرا انه حققه .
ولكنه أدرك منذ اللحظة الاولى أن القضية الوطنية لا تنفصل عن قضية أخرى لا تقل أهمية وهي القضية الاجتماعية ، بل وانهما وجهان لقضية واحدة . . وان تحرير مصر من الاستعمار لابد أن يعنى تحررها من جوهر الاستعمار وأساسه وهو الاستغلال .

والاستعمار لا يسود الأرض ولكن يستغل ويستنزف الشعب ، والحرية لهذا لا تعنى فقط استعادة السيادة ولكن بناء مجتمع جديد يسترد فيه كل مصرى وقعت عليه الوطأة الاستعمارية حقوقه الكاملة

وقد تدرجت القضية الاجتماعية من تصفية الاقطاع والرأسمال الكبير والاحتكارية ، حتى تمصير الاقتصاد ورفع كل سيطرة للرأسمال الاجنبى ، حتى التأمين وعلان الاشتراكية . ذلك أن تمصير الاقتصاد لا يعنى تحريره . لان طبقة جديدة مستغلة سوف تقوم مكان الاجنبى . انما يجب أن تنتقل الثروة الى مالكةا الشرعى وهو الشعب . ومنذ اعلان الاشتراكية أصبح تحقيقها هو جوهر كل السياسات الداخلية والخارجية . ولا تقاس مشاق التحرر الوطنى فى شىء بمصاعب التحول الاجتماعى ، خاصة فى مجتمع مثل المجتمع المصرى . . يزرخ بالتناقضات ويحمل

رواسب استعمارية اقطاعية رأسمالية عمرها آلاف ومئات
الأعوام ♦

ان العقبات والصدمات محتومة دائما في الانتقال من
مرحلة الى مرحلة في ظل واقع شديد التعقيد ♦♦ وأول من
يجب أن يميزها ويراهها على حقيقتها هو الفيلسوف المفكر
« اليسارى » ♦ ولكن الدكتور فؤاد زكريا ينفى ذلك تماما
ويؤكد أنه لم تقم أى اشتراكية ، وان ما تم لم يكن غير
فاششية ♦

ولم يحجم الدكتور — خلال تجريده للاشتراكية
الناصرية من كل صفة أو مزية — عن الوقوع في سلسلة
من المتناقضات تبلغ حد العبث ♦

فهو يقر مثلا اننا كنا نعيش قبل الثورة في ظل اقطاع
من القرون الوسطى ورأسمالية من القرن التاسع عشر
ويقر أن الثورة قد أخرجتنا منهما، وان هناك من يريد أن
يعيد عقارب الساعة الى الوراء ♦♦ أى بعد أن دفعتهما
الثورة الى الامام ♦♦ ولاشك أن الخروج من مقبرة القرون
الوسطى وفظاعة القرن التاسع عشر كان يكفى الثورة
فخرا ♦ ولكن الدكتور يعود ليكرر أن الثورة قد سحقت
المصريين ، ولم تفعل سوى ان أضافت شريحة أخرى الى
المستغلين والمستبدين ♦

ولكى يدلل الدكتور على صحة دعواه يقول اننا حتى

الآن لازلنا نستعمل الالقاب ♦♦ ولو كانت الثورة اشتراكية
حقا ، لكانت قد استطاعت أن تمحو الالقاب محوًا من
ذاكرة الشعب وحياته اليومية ♦
وهو دليل فريد بالطبع ♦

فالدكتور لاشك عاش ولا زال يذكر العصر الذي كان
المجتمع فيه ملكيا ، وكان على قمته ملك يلقب بحضرة
صاحب الجلالة الملك المعظم حفظه الله ، ثم يليه أمراء يلقب
بعضهم بحضرة صاحب السمو الملكي ويلقب الآخرون
بصاحب السمو الملكي فقط ♦ ثم يتلوهم نبلاء يلقب بعضهم
بالنبيل فقط بلا مجد !

ثم يأتي بعدهم باشوات بعضهم لا بد أن يلقب بحضرة
صاحب المقام الرفيع ، وبعضهم حضرة صاحب السعادة ،
وبعضهم صاحب السعادة فقط ، وآخرون بحكم مناصبهم
صاحب المعالي ♦♦ وتنتهي الالقاب بالبكوات ، وبعضهم
من الدرجة الاولى ويلقب حضرة صاحب العزة والآخرون
من الدرجة الثانية (صاحب العزة فقط) ♦ ثم محيط واسع
تحت كل هؤلاء من الافندية ♦ ويذكر الدكتور أيضا انه كان
هناك تجمع آخر من الاجانب بالقباهم الخاصة ، تتراوح
بين اللورد والسير والكونت والبارون ، وأحيانا ممن يجمع
بين السؤدد والمجد وبين كلا النوعين ، وبغير القاب ، أو
بالقاب منتحلة ومصطنعة ، كانت هناك فئات فوق فئات ،

وطبقات فوق طبقات ، من الاعيان والمشايع أصحاب
الوجاهة والفضيلة والحسب والنسب • ثم جيش من
النفاية الأوروبية وجيش آخر من النفاية العثمانية ، لا هم
مصريون ولا عرب ولا خواجات •• يتعالون على القاع
الذى يرسف فيه الملايين والملايين من المصريين المسحوقين
والمجردين من كل شىء •

فاذا كان لم يبق من هذا المجتمع بعد عشرين عاما من
الثورة سوى لقب « بك » يستعمل مجاملة ، ويموت
تدريجيا ، أو بعض مخلفات ترى فى ألقابها كل حياتها ••
فهل هذه هى الخطيئة التى يستدل منها على فشل
الاشتراكية فى مصر ؟

ان العادات والعبودية تموت موتا بطيئا ، اشد
بطئا مما يقدر الثوار •• وذلك كما لا بد وقد درس الدكتور
فى علم الاجتماع •
على أن الدكتور لا يكتفى بهذا ، وإنما يقدم دليلا قاطعا
آخر على فشل الاشتراكية وهو الاستقبال الذى لقيه
نيكسون فى مصر •

وهنا يخرج الدكتور بنتيجة دامغة ومبتكرة ، وهى ان
استقبال نيكسون كان استفتاء شعبيا على رفض الشعب
للإشتراكية والثورة « الناصرية » عامة •
ولا ينتهى الدكتور الى الوجه الآخر للنتيجة • وهو أنه
إذا كان الشعب قد صوت باستقبال نيكسون ضد

الاشتراكية ، فلا بد وأن يكون قد أعلن ثقته وإيمانه
بالرأسمالية والامبريالية الأمريكية .

وحينئذ لابد أن نعيد النظر في كل تاريخنا الحديث
القريب والبعيد ، ويصبح لا معنى لأن نترك قواتنا المسلحة
في مواجهة هذه الامبريالية في رمال الصحراء ، ويصبح
علينا أن نبحث عن حقيقة الشعب المصري « الآخر » الذي
عاش في معركة متصلة مستميتة طوال عشرين عاما — ومنذ
الثورة حتى الآن — ضد هذه الامبريالية والرأسمالية !

ان من المؤسف حقا أن أول من قال بهذه الدعوى ،
وسبق الدكتور فؤاد زكريا اليها ، كاتب مبتذل من كتاب
احدى المجلات الأسبوعية ، وقف على أبواب كل الحكام ،
وأثبت ومجد كل شيء قالوه .. وقد نقله عنه وتبعه رتل
من الكتاب الساقطين ، وجعلوا منه حجة ثابتة في جعبة
اليمن .

واذا كان الدكتور الفيلسوف قد ارتضى أن ينقل هذه
الفكرة ويرفعها الى مصاف الحجج الفكرية على فساد
الاشتراكية وفشلها .. فأننا نسأله وفق أى منهج وأى
منطق ؟ ولابد أن يقدم لنا الدكتور بجرأته وموضوعيته
تحليلا كاملا لظاهرة استقبال نيكسون .. وكيف تنتهى
الى هذه النتيجة !

على أن الأجدى من هذا أن نعود الى موضوعنا .

ان عبد الناصر لم يقل ، ولا أحد من الناصريين أو الماركسيين ، أن الناصرية قد أقامت المجتمع الاشتراكى النموذجى فى مصر ، أو قدمت الحلول المثالية لكل المشاكل ، أو حققت كل الآمال التى عقدت عليها — ولكن ما يؤيدونه ويؤكدونه هو ان الاشتراكية هى الطريق الصحيح والوحيد ، وان الاشتراكية طريق عسير وكفاح متصل من أجل تعميق الفكر وتصحيح التطبيق المستمر !

وما أبداه الناصريون والماركسيون وكل الوطنيين المستعبرين ، ولا بد أن يؤيدوه دائما هو أن الثورة حينما كان عليها أن تختار اختارت الاشتراكية وأعلنت فى ميثاق وطنى عام بينها وبين الشعب ان الاشتراكية التى تختارها هى الاشتراكية العلمية • ليست اشتراكية شكلية أو مجرد واجهة وشعارات ، وانما اشتراكية تؤمم المواقع الرئيسية للثروة ، وتعترف بالصراع الطبقي ، وتبدع طريقا خلافا وسليما لمواجهة •

وقد قامت الاشتراكية المصرية فى مجتمع معقد ، هو أقدم المجتمعات « الطبقيّة » فى التاريخ ، وكياناته وعلاقاته ورواسبه الطبقيّة قديمة • • قدم الصراع الانسانى كله • وقامت الاشتراكية المصرية فى قلب منطقة تستमित الرأسمالية العالمية لكى تبقى فى فلكها ، من أجل البترول والاستراتيجية الكونية ، وتفعل أى شىء فى سبيل أن لا تقوم أو تنجح اشتراكية فيها ، وخاصة فى أهم دولها •

وقد كانت حرب ٦٧ ذروة محاولات الرأسمالية العالمية لضرب الاشتراكية في مصر • وقد يكون تكرارا مملا أن تحدد ما حققته الاشتراكية مساحة الأرض التي وزعت والأرض التي استصلحت ، وما غيرته في حياة الريف وحياة الفلاح أو عدد المصانع التي أقيمت وما فعلته في حياة العمال أو عدد المدارس والمعاهد والكليات وما أثرت في حياة مصر الثقافية أو عدد القوات المسلحة التي تكونت وما منحته من ثقة • هذه احصاءات يعرفها الجميع • ولا بد كان الدكتور أول من يجب أن يراجعها قبل أن يعلن بيانه وتقييمه • لن نكرر احصاءات معروفة ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر على الثورة انها ألقت بذور الاشتراكية في مصر ، بطول البلاد وعرضها • في القرية والمدينة والصحراء • وانها أعلنت حتمية الطريق الاشتراكي وقدرة الاشتراكية على حل المشاكل ، وان لا حل سواها ، وانها تركت لهذه البذور أن تنمو في أخصب تربة للاشتراكية •

ولا أحد ينكر أن الاشتراكية قد دكت المجتمع القديم الظالم من أسسه ، وبددت الخرافة التي كانت تجعل منه المجتمع الوصي والابدي الازلي • وأكدت في نفوس الملايين ان المجتمع الظالم ليس هو طبيعة الاشياء ، وان من الممكن استبداله بمجتمع كفاية وعدل •

لقد قدمت هذه الاشتراكية « الأمل » ، حتى اذا لم

تكن قد قدمت الفائدة الملموسة كاملة • وعمر الاشتراكية في مصر — على أى حال — لا يزيد عن ١٤ عاما منذ اعلان القوانين الاشتراكية • وربما كان عمرها الصحيح ست سنوات حتى حرب ١٩٦٧ وهى كانت أقسى امتحان لها ، والتي وضعت مصر أمام تحد قلب كل الخطط والمشاريع • ومن حق الدكتور أن ينكر أنه كانت هناك اشتراكية ، أو أنها حققت شيئا ، ولكن أفضل الاقتصاديين في مصر — وطنيين أو اشتراكيين أو ماركسيين — يعترفون بأن القطاع العام الذى أقامته الاشتراكية هو الذى مكن مصر من الصمود اقتصاديا خلال المحنة الكبيرة • ويعترف أفضل الاقتصاديين من كل الاتجاهات « الوطنية » أن ما حققته مصر من تنمية في ظل الاشتراكية هو أضخم تنمية حققتها في تاريخها الحديث كله ، أى منذ تفتحت على الحضارة المعاصرة أيام محمد على • وإذا كان الدكتور زكريا يمجّد العبور ، ويرى فيه بعث الانسان المصرى الذى سحقتة « التجربة الناصرية » فان العسكريين الذين قادوا هذا العبور والذين يعرفون أسرارهم بأفضل مما يعرف ، أعلنوا أنه لولا القطاع العام الذى أقامته الاشتراكية لما أمكن العبور والانتصار ! ولاشك أن الدكتور فؤاد زكريا لم يزر قط قرى الإصلاح الزراعى ، ولم يشهد ذات يوم اجتماعا في قصر الأمير كمال حسين في نجع حمادى ، بين الفلاحين الذين

وزعت عليهم أرضه ، وبين أعضاء مجلس الشعب ورجال
الاصلاح الزراعى • وهو ما لم يحلم به فلاح فى يوم من
الأيام •

ولا شك أن الدكتور لم يزر قط مجمع الامونيوم فى
نجع حمادى أيضا ، ليرى كيف ينتقل مجتمع من الاقطاع
أو ما قبله الى عصر الصناعة الاشتراكية رأسا • وبالطبع
لم يزر السد العالى أو مصنع السكر فى ادفو أشد مناطق
مصر فقرا فيما مضى •

ولا شك أن الدكتور لم يقرأ ما ينشره طلبته وطلبة
الجامعة التى يقوم بالتدريس فيها على جدران كلياتهم •
وهم الجيل الذى انجبته الثورة ، والذى يتدفق حيوية
وحياة وايجابية حتى فى سخطه ورفضه وتمرده • أنه
بالتأكيد جيل لم تسحقه الثورة كما يؤكد !

وحينما كان الدكتور طالبا فى الجامعة كانت هناك
جامعتان فى القاهرة والاسكندرية ، أما الآن فتنتشر
الجامعات والكليات فى أرجاء مصر • فى أسوان وأسيوط
والمنيا وفى طنطا والمنصورة والزقازيق • والنظام الذى
يسحق الشعب أو يضع هذا من هدفه لا يفتح هذا العدد
من المدارس والجامعات •

وقد كان واجبا علميا على الدكتور قبل أن يلقي بآرائه
القاطعة الجارفة أن يطوف المواقع وأن يرى الحياة على
الطبيعة ، وأن « يمسح » التحولات بدقة ، وأن يراجع

• الأرقام والاحصاءات •

والا فما هي المراجع التي استتبط منها أن كل ما فعلته الثورة هو اضافة ٤٠٪ الى الطبقات القديمة وكيف سمح له ضميره العلمى أن يلقى بهذه الحقيقة متحديا بهذا كل التحولات التي حدثت في المجتمع وكل احصاءات العمال والفلاحين والطلاب الذين تكونوا •

وهناك اتهام تقليدى توجهه الطبقات المخلوعة ضد الاشتراكية في كل مكان وهو انها خلعت الطبقات القديمة لا لصالح عامة الشعب ولكن لتحل طبقة جديدة محلها • وانها أضافت شرائح أخرى من الثوار تحولوا الى بورجوازيين •

وقد رددها الاستاذ الدكتور بدوره ا

وقد وجه نفس الاتهام الى كل الثورات الاشتراكية في المعسكر الاشتراكي أو في العالم الثالث ، بلا استثناء • ان الطبقة الجديدة حقيقة ، ولعنة ، وهي تصاحب الاشتراكية دائما ، وفي مراحل منها ، وهي مشكلة واجهت الاتحاد السوفيتي والصين ويوغوسلافيا كما تواجه كوبا أو مصر أو غينيا • فاستيلاء الثوار على السلطة يغري بعضهم بسوء استغلالها ، وتعمل الطبقات القديمة بكل ما تستطيع على اجتذاب وافساد أكبر قدر من الثوار لتثبت دعاويها ولتمد في أجلها •

ولكن الطبقة الجديدة ليست « طبقة » بل هي مجرد

فئات أو شرائح صغيرة • وهى تنتهى دائما باستمرار الثورة ، وان الاشتراكية تنجب دائما القوى التى تصح أخطاءها وعثراتها ، والثورة الدائمة هى المصل المضاد للطبقة الجديدة أو الوسيلة لحصارها وتصفيتها • والاشتراكية لا تتحقق سهلة يسيرة • وانما هى صراع جدلى يستمر طويلا بين المجتمع القديم والجديد •

وربما يستطيع الدكتور أن يعدد مائة عيب وعيب للثورة والتجربة الاشتراكية ويوافقه كثيرون عليها ، ولكن فرق بين تعداد العيوب للتشفى أو لنفى وهدم الثورة ، وفرق بين كشفها لتلافيها والمضى والاستمرار بالثورة •

وفرّق بين نقد اليساريين — كما حدث — للوصول الى الطريق والحلول الأفضل ونقد الاستاذ الذى لا ينقد بل يصم ويندد والذى لا يصل الى العيوب الحقيقية ولكن يظل دائما على السطح ويقصد الاثارة •

ويمكن أن يقال فى اطار النقد أن الاصلاح الزراعى فى مصر ورغم ثلاثة اصلاحات أساسية وجوهرية الا أنه مكن بعض الاقطاعيين والملاك والموظفين من التلاعب بنصوصه وبنوده وأن مسئولين اقطاعيين فى أعلى المستويات قد أشرفوا على تنفيذه وأن موظفين بيروقراطيين خدموا الملّاك دائما قد قاموا بتطبيقه وأن الاصلاح الزراعى المصرى نفذ فى أغلب المناطق تنفيذا اداريا وليس سياسيا وشعبيا قائما على تعبئة الفلاحين واستنفارهم

لاسترداد حقوقهم وحراستها ، وهذا الاسلوب الادارى احتوى بالطبع الكثير من ثورية الاصلاح الزراعى التى كانت منتظرة والكثير من عمق وأصالة التحول وانه منح القوى الرأسمالية والمالكة فى الريف مجالا واسعا للمناورة • وقد يقال أن حد الملكية الاقصى فى الاصلاح الزراعى لازال كبيرا بالنسبة لعدالة توزيع الارض الواجبة فى مصر وكثافة السكان فى الريف وأن استصلاح الاراضى لا يتم بالسرعة الواجبة ، وأن الارض المستصلحة لا تذهب الى الفلاحين الفقراء والمعدمين كما يجب أن تذهب • ولم تدر على الطريقة العصرية الاشتراكية كمزارع جماعية أو تعاونية ، ولكن اختلس الكثير منها ملاك ورأسماليون ومضاربون وانتهزيون •

ويمكن أن يقال أن التعاون الذى نص عليه قانون الاصلاح لم يقم ويزدهر كحركة شعبية اشتراكية نابعة من الفلاحين منهم واليههم ولكن ظل حكوميا روتينيا حافلا بالشرعيات يهيمن عليه الموظفون وأعيان الريف • ولايفيىض بالروح التعاونية التى يجب أن تكون أساسه وحافزه الأول •

ويمكن أن يقال أن النقابات الزراعية لم تتكون كما يجب أن تقوم وانها لم تضم العمال الزراعيين ولم تستقطب العمال المعدمين عمال التراهيل وهم بؤرة شقاء مصر ولم تقدم حلا جذريا لهم •

يمكن أن يقال هذا وأكثر منه • ولكن يظل هذا تفاصيل
المصاعب الطبيعية التي واجهت معظم الثورات والتحولات
وتبقى تحديات علينا أن نصفها ونتخلص منها • ولكن
الاساس قد حدث وتحقق • سقط الاقطاع وتحرر الفلاح
ورفع رأسه ولم يعد ممكنا أن يستغل أو يستعبد •

وفي الصناعة ربما يقال أن الخطط لم تكن سليمة تماما •
انشئت مصانع في الموقع الخطأ وبالأسلوب الخطأ
وبالتكاليف الخطأ وسلمت المؤسسات والشركات التي تأممت
الى موظفين وأحيانا الى رأسماليين لا يريدون الاشتراكية
وانما يقاومونها •

وقد يقال أن كثيرا من اللوائح والأساليب الاشتراكية في
الادارة والانتاج قد أهدرت • ولم يتكون الكادر الاشتراكي
الفني والاداري ، ولم تمنح الطبقة العاملة الدور النقابي
والسياسي الذي كان يجب أن يكون لها في اقامة وإدارة
الصناعة •

ولكن تظل هذه أيضا تفاصيل ومشاكل لا تستعصى على
الحل • ولكن الهدف الرئيسي قد تحقق ، سقطت كل دعاوى
الامبريالية والرأسمالية ، وقامت مصر الصناعية • وتحققت
الثورة الصناعية في ظل الاشتراكية وأقيمت قاعدة صناعية
هي الأساس لكل البناء •

وربما كان عدد المدارس في مصر أقل مما يجب وكانت

مرتبات وأحوال المدرسين أقل مما ينبغي وربما كانت المناهج متخلفة والمعاهد والكليات والجامعات مفتقرة الى الكثير من المقومات • ولكن تبقى كل هذه أيضا تفاصيل • والمهم ان الشعب قد انتزع حقا حرم منه سنين وقرون هو حق التعليم ، وتعلم عشرات الألوف من أبناء الفقراء والعمال والفلاحين وعلى هؤلاء الذين تخرجوا وتسلموا التبعة أن يسدوا كل الثغرات وأن يصححوا كل الأخطاء التي عرفوها وعانوا منها •

وقد عقد الاستاذ الدكتور مقارنة ساذجة وظالمة بين عبد الناصر وستالين ومع ذلك فقد قال ذات يوم واحد من أشد خصوم ستالين «لقد أدخل ستالين روسيا الى المدرسة» وكان هذا في رأيه يجب ويغفر كل شيء ، فقد انجبت المدرسة السوفيتية الجيل الذي تدارك كل الاخطاء الستالينية • وقد كانت المدرسة السوفيتية في عصر ستالين أسوأ بكثير من المدرسة المصرية في عصر عبد الناصر لن صحت المقارنة •

ان كل العيوب ثانوية • ولكن المهام التاريخية للاشتراكية قد تحققت • سقط الاقطاع والرأسمالية وانتقلت مواقع الثروة الأساسية الى الشعب • وقامت مصر الصناعية العسكرية المثقفة ونما جيل جديد انتقلت اليه تبعة استكمال المسئولية •

تبقى قضية الديمقراطية

لأنه لم تكن هناك اشتراكية فلم تكن هناك ديموقراطية •
والعكس أيضا !

هكذا لخص الدكتور فؤاد زكريا « التجربة الناصرية » •
كل شيء كان زائفا وكاذبا •

وقضية الديمقراطية هي أهم قضايا العصر • ولكنها
أيضا ذريعة ، وباسمها ترتكب الجرائم والخطايا •

فالديموقراطية مثلا هي الشعار الذي ترفعه الرأسمالية
والامبريالية الجديدة في حربها ضد الثورة الوطنية
والاجتماعية في العالم الثالث ، وضد الاشتراكية في المعسكر
الاشتراكي ، فهي تزعم أن معركة العصر هي معركة بين
الديموقراطية وبين الشمولية ، وليست بين الرأسمالية
والامبريالية وبين الحرية والاشتراكية •

والديمقراطية التي تعترف بها وتتخذها نموذجا يحتذى
للعالم الثالث هي ديموقراطية فرموزا ، في ظل تشيانج كاي
شيك ، أو ديموقراطية فيتنام الجنوبية في ظل « ثيو » ،
أو ديموقراطية كوريا الجنوبية وأخيرا وليس آخرا
ديموقراطية اسرائيل •

ولكن النظم الأخرى ، نظم عبد الناصر في مصر أو
سيكتوري في غينيا أو « سوكارنو » في أندونيسيا فهي

نظم ديكتاتورية شمولية شيوعية لابد من مقاومتها لاجل
الديموقراطية !

والديموقراطية كانت الذريعة التى انشقت بها الحركة
الاشتراكية الدولية بمساهمة القوى الرأسمالية
والاستعمارية ، وانقسمت الى أحزاب اشتراكية ديموقراطية
تهاجم الأحزاب الاشتراكية اليسارية والأحزاب الاشتراكية
الماركسية بحجة واحدة : هى افتقادها أو عدوانها على
الديموقراطية •

وقد انتهت الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى حماسها
للديموقراطية الى الانحياز الى الرأسمالية الامبريالية
 واصبحت احزابها الكبرى (حزب العمال فى بريطانيا
والحزب الاشتراكي الديموقراطي فى المانيا الغربية والحزب
الاشتراكي الديموقراطي الايطالى) هى طليعة ودعامة
التحالف الرأسمالى الذى تقوم عليه الرأسمالية الجديدة
فى الغرب •

ان الديموقراطية فى البلاد التى عانت الاستعمار
والاستغلال الاجنبى لابد ان تبدأ أولا بالديموقراطية
الاقتصادية والاجتماعية ، وتصفية العهد القديم بكل كياناته
وعلاقاته •

لا يمكن ان تقوم ديموقراطية فى ظل الامية أو المجاعة
أو المرض أو البطالة •• واغلبية سحقها الاستبداد
والاستغلال •

ولم يكن هدم المجتمع القديم ليتم بالحوار والاقناع
كان لابد من العنف والقهر لطبقات قهرت واذلت الشعب
طويلا - وكان لامناص مرة لسوء الحظ - أن يمتد القهر
ويتجاوز حدوده في التطبيق .. ولكن مهما كانت الاخطا
التي حدثت فانها لا تبرر اتخاذ اليمين لها ذريعة للتتدي
بالثورة *

ان تجاوز الشرعية حدث في كل الثورات بلا استثناء في
الشرق أو الغرب * والثورة ليست حفلة وانما صراع
قوى .. هائل *

ان ما حدث في مصر لا يقارن في شيء بما حدث في ثورات
أخرى غربية أو اشتراكية أو عربية لا يقاس في شيء بما
حدث في الثورة الفرنسية والروسية وفي الثورة الجزائرية
أو الانتفاضات العراقية *

وان ما حدث من تجاوزات ينبغي ان لا يؤخذ وسيلة
لإنكار كل ما حققته الثورة أو تنكئة للدعوة الى عودة «عقارب
الساعة الى الوراء» *

ثم ان اليمين المصري لاحق له في الحديث عن القهر
والتعذيب فقد حكم طويلا .. وتمخض حكمه عن ٩٩٪
من الشعب في ادنى درجات الانسانية * وليس هناك قهرا
أو تعذيب اشد من هذا *

وتجاوزات القانون والشرعية تعنى أول ما تعنى البحث
عن افضل شكل لديموقراطية اشتراكية لا تتفصل فيها

الديموقراطية السياسية عن الديموقراطية الاقتصادية أو
الديموقراطية الثقافية وهي لاتعنى قط اعادة الديموقراطية
الرأسمالية أو سيادة القانون « البورجوازي » •

ان ما حدث من تجاوزات كان حالات واستثناءات لم
يكن القانون ولم يعلن الارهاب العام ولكن انحرافات
وشذوذاً ومن الافتراء الاستناد اليها •• للقول بأن هذه
هى الناصرية وانها بهذا سحقت مصر والمصريين •• كما
تفضل الأستاذ الدكتور •

ويشتهر الفلاسفة عادة بالنسيان أو ضعف الذاكرة ••
ان الحقائق العليا التى يستغرقون فيها تتسيهم دائماً
الحقائق الصغيرة •• أو الجزئية •

وفي نوفمبر سنة ١٩٧٠ كتب أحد الفلاسفة المفكرين يعدد
مزاياء ثورة عبد الناصر فقال « قبل عام ١٩٥٢ كان التفكير فى
العدالة الاجتماعية يتخفى ويتسرب تحت الارض وكانت
الاشتراكية معنى محرماً تعاقب عليه قوانين الدولة
الرسمية • وكانت الملكية الخاصة سواء منها الزراعية
والصناعية حقاً مقدساً لا يمس ، مهما بلغ مقدار استغلالها
أو وقوفها فى وجه النمو المنطلق للمجتمع • وكانت أبواب
البلاد مفتوحة على مصراعيها امام الاستثمارات الاجنبية ،
دون ان يتساءل احد عن مدى التعارض بين هذه
الاستثمارات وبين رغبتنا فى تنمية اقتصادنا على نحو

مستقل أما اليوم فان الاشتراكية والعدالة الاجتماعية هي السياسة الرسمية للدولة • والاقتصاد الوطنى يعرف كيف يميز بين المساعدة الآتية من الاصدقاء وبين الاستغلال الذى يعوق نموه • والملكية الخاصة قد تكتشفت وظليفتها الاجتماعية ، ولم تعد تحاط بهالة القداسة التى كانت تمنع المجتمع حتى من تقليد أظافرها •

وقبل عام ١٩٥٢ كان التفكير فى الحياض حتى لو كان سلبيا يعد ضربا من المغامرة وكان فكر المعسكر الاشتراكى من المنوعات المحرمات • وكانت حركات التحرر الوطنى بعيدة عن فكرنا لان اهتمامنا كله كان منصبا على الاحتلال المباشر الذى يجثم فى قلب اراضينا • بل كانت مجرد الدعوى الى السلام تعد — بطريقة يأبأها المنطق ويستنكرها مجرد الاستخدام السليم للالفاظ — دعوة هدامة • واليوم أصبح الحياض الايجابى معسكرا كاملا نقف نحن على رأسه • وتحولت هذه الايجابية نتيجة لسلسلة متلاحقة من الظروف الضاغطة ، الى فهم وادراك للطابع العدوانى للرأسمالية العالمية ، وتفاهم متزايد مع المعسكر الاشتراكى ، وتضامن وثيق مع الحركات التحررية فى العالم الثالث •

وهذه هى الوقائع الموضوعية • وبناء على هذه الوقائع تغير تفكيرنا وأصبحت له اسس ومجاور جديدة •

ولما كانت هذه الاسس تستجيب لرغبات شعبية طاغية، فقد أصبح الجميع يتبنون شعاراتها ، ويجهرون بالدفاع

• عنها ، ويتقربون الى الناس عن طريقها » •

واستطرد الفيلسوف المفكر ليقول :

« على الرغم من الانحرافات الفكرية ، فان هناك حقيقة واحدة : وهى ان الجميع ينادون بالشعارات الاشتراكية • وهذا يعد فى ذاته تقدما هائلا • لان هذا الاجماع يعكس تعلقا شديدا وشاملا من الشعب بالمعانى التى تعبر عنها هذه الشعارات ، بحيث يكون التراجع عنها فى المستقبل ضربا من المستحيلات • وفى هذا التعلق الشعبى الكامل بمبدأ الاشتراكية ، واضطرار القلة التى لاتؤمن بها أو لاتفهمها الى صياغة افكارها فى اطار ظاهرى من هذا المبدأ ذاته • • فى هذا ما يؤكد ان الوصف الصحيح لموقفنا الفكرى بعد غياب القائد هو الامتلاء لا الفراغ !

« ومن المؤكد ان للامتلاء مشكلاته ولكنها ايا كان تعقيدها ليست مشكلات ولدها الهزال والعقم ، كما يتصور أصحاب نظرية الفراغ • وانما هى مشكلات تولدت عن الخصوبة والثراء والتنوع الفكرى الذى لا بد ان يتميز به العصر الذى نجد أنفسنا على أبوابه » •

وهذا الفيلسوف المفكر سنة ١٩٧٠ هو نفس الدكتور فؤاد زكريا سنة ١٩٧٥ • • وهو قد نسى ان يبين لنا فى بحثه عن اليسار المصرى وعبد الناصر • • ماهى الوقائع الموضوعية التى بناء عليها تغير تفكيره وأصبحت له أسس

• ومحاور جديدة •

- • ولقد قال الدكتور في ذلك البحث أيضا :
« ان التحدى الذى يفوق كل ماعداه أهمية فى هذه المرحلة
هو مواجهة مؤامرات دعاة الارتداد والتراجع أولا » •
- ولا نظن ان الوقعية بين اليساريين أو وصم التجربة
الناصرية اليوم هى أفضل مواجهة لذلك الارتداد •
- • ولا نظن أيضا • ان الحياة الاستهلاكية الرغدة في
الكويت حيث يعمل الدكتور ويبعث بأحكامه وحكمه • • هى
أفضل موقع لمواجهة دعاة الارتداد الذين يتكاثرون في مصر
الآن كالجراد •
- ونسأل الله ان يطيل اعمارنا حتى نقرأ رأى الدكتور فيما
يجرى الآن • • سنة ١٩٩٥ ونحى شجاعته وموضوعيته •

رد على الرد

لابد ان يحسد المرء الدكتور فؤاد زكريا على قدرته
وجراته والاسم الصحيح تبججه •
وقد كان الدكتور ولازال يرى نفسه ذكيا نقيا ناصع
النفس والقلب ، بينما كل الآخرين مفترين سطحيين ••
ارهابيين جمعهم كلهم العدوان عليه وعلى الحقيقة • وقد
تكاثر سبعة منهم على الاستاذ الراهب العاكف على الحق
وعلى اظهاره وأرادوا النيل منه وطمس النور الذي خرج
به على الناس •

وتختلف القصة بعض الشيء •

قال الدكتور في بداية البداية انه أصلح من يحكم على
« العهد الناصري » وأحكمهم وأشدهم نزاهة لأنه كان
فوق ذلك العهد ولم يرتبط به ، ولم يضار منه ، ولم
يستفد أيضا فائدة غير مشروعة ولم يفتنر فرصة •
وكان الدكتور خلال العهد الذي أثار الجدل حوله ••
ولسنوات •• رئيس تحرير مجلة الفكر المعاصر •• الى
جوار عمله كرئيس لقسم الفلسفة في الجامعة •• ولم تكن
مجلة الفكر المعاصر هي مجلة المعارضة ضد هذا النظام •
ولم تكن أيضا مجلة المقاومة السرية ولكنها كانت منبرا

رسميا شرعيا من منابر فكر « التجربة الناصرية » • •
وكانت تصدر عن وزارة الثقافة المصرية وبأموالها ، وكانت
رسالتها الدعوة الفكرية واثراء وتفسير التجربة القائمة
فكريا وتعبئة المثقفين حولها •

وفي دولة بوليسية اراهبية تخرب روح الانسان المصرى
وتسحقه كما يقرر الاستاذ • • لا يختار أى أحد لرئاسة
هذا النوع من المجالات ولا بد ان يكون من يقع عليه
الاختيار محل ثقة مطلقة للقوى التى كانت تحكم كل شىء
خاصة حياة وحرية الفكر والمفكرين •

ولم يقل الدكتور أو يصرح انه أرغم ارغاما على
المنصب وبهذا يكون قد قبله راضيا •

ولما كانت المنافسة حامية فى ذلك الوقت حول مثل هذه
المناصب فلا بد أن الدكتور قد سعى سعيا حقيقيا اليه ،
ولا بد انه قد فاز به بصلات وعلاقات وسمعة حسنة لدى
المسؤولين والحكام •

ولهذا • • ليس هو أفضل الناس وأنزههم لكى يحكم
على التجربة من أعلى !

ولأنظن أن أستاذنا ومفكرا يرأس تحرير منبر رئيسى
من منابر فكر ثورة ودولة ويظل طويلا فى هذا المنصب ،
يمكن أن يكون رافضا ومعاديا للثورة والدولة معا • • منذ
البداية حتى النهاية — كما يقرر الآن •

ورئيس تحرير مجلة فكرية ذات رأى ورسالة معينة

لابد له — اذا كان يحترم نفسه — ان لا يقبل المنصب الا اذا كان مقتنعا تماما وموافقا تماما . ولا يمكن لمفكر خاصة اذا كان في مثل حرص الاستاذ على فضائله . ان يعيش ويعمل بقلبين وعقلين .

ولكن ظلت « الفكر المعاصر » برئاسة وتوجيه الدكتور تؤدي مهمتها بنشاط وحماس ولزمن طويل . لم يشعر خلاله الدكتور بأى قلق أو أزمة ضمير !

وحينما مات رجل التجربة وبطلها . لم يقدم الدكتور استقالته ويتنفس الصعداء . ولم يصمت أو ييسكت تكفيرا عن الخطيئة التى تورط فيها . ولكن خرج بعمل فكرى نافذ هو عدد خاص من المجلة عن عبد الناصر يقيم البطل الذى ذهب وثورته وكل شئ عن حياة وفكر ودور عبد الناصر .

- « مفهوم الثورة في فكر عبد الناصر »
 - « دور الممارسة في فكر عبد الناصر »
 - « شخصية القائد ووحدته الفكرية »
 - « الثورة المصرية ومعنى الانتماء العربى »
 - « الاشتراكية العلمية في الفكر الناصرى »
 - « الناصرية والعالم الثالث »
 - « شخصية القائد من شخصية مصر »
 - « جمال عبد الناصر ومفهوم البطل في التاريخ »
- وهذه لم تكن مراثى عاطفية أو انفعالية ولكن دراسات

وابحاث عن مغزى الثورة ودور عبد الناصر في صنع التاريخ وتغييره •

وقد عرضت كلها ولاشك على رئيس التحرير ووافق عليها لكى تطبع وتنتشر •• وتحمل بذلك مسئوليتها •• وليس هناك رئيس تحرير مجلة فكرية يحترم نفسه ينشر في مجلته دراسات مفاضة تماما لرأيه ولرأى المجلة بغير أن ينص على أنها تعبر عن رأى كاتبها فقط •• ورؤساء تحرير المجالات والمناظر الفكرية خاصة الرسمية الذين يصنعون عادة هيكل العدد وينسقونه ويختارون الكتاب ثم يراجعون كل ما قدم لكى ينتهوا ما ينشر •

وليس هناك رئيس تحرير •• ومفكر صارم النزاهة مثل الدكتور يرضى أن ينشر في مجلة يرأس تحريرها رأى أو فكر زائف أو مفتعل منافق أو يرضى لنفسه أن يتنصل بعد زمن من مسئوليته عنها •

وقد جاء في مقال بقلم احد المفكرين واساتذة الفلسفة الدكتور يحيى هويدى :

« عبد الناصر هو صانع مصر الثورة •• مصر المعاصرة، مصر العصرية مصر العربية مصر الاشتراكية والتي على طريق الاشتراكية واذا كان من الحق ان نقبول ان الطاقات التي فجرها في شعب مصر كانت كامنة فيه فمن الحق أيضا ان نقرر انه هو الذى جعلها تثبتق في صورة جديدة وفي اطار جديد حتى خيل الينا معها اننا نراها لأول

مرة وهذا الاسلوب الجديد في الفكر والحياة الذي قفزنا اليه بوجود الزعيم بيننا هو الذي يجعلنا لانكتفى بالقول بان عبد الناصر قد اعاد الينا الروح بل علينا ان نقول انه اعادها الينا مفتوحة وذلك لان الروح قد تعود الى الافراد والشعوب وتظل مع هذا في حالة ركود نعيانة اسوانة ، وقد تتقمص في عودتها مخلوقات شوهاء وقد تعود على العكس من ذلك في حالة من التفتح والازدهار وليس من شك في ان عودة الروح لشعب مصر على يد عبد الناصر تجسدت في تلك الزهور الكثيرة المفتحة والبراعم التي تنبض بالحياة والتي سقاها هو من افكاره وآماله شرابا طهورا ولعل هذا هو ائمن ما خلفه لنا » .

وفي مقال آخر عن الاشتراكية والعلم والفكر الناصري وفي دراسة طويلة عن تطور فكر الثورة وعبد الناصر قال أستاذ كبير ، الدكتور فؤاد مرسى :

« هذه محاولة سريعة لاقتفاء خطى وتحديد معالم مفهوم الاشتراكية العلمية عند جمال عبد الناصر وليس لي فضل فيها سوى كتابتها لان صاحبها على الأرجح هو جمال عبد الناصر نفسه ، وكأى مفكر كبير هو في الوقت ذاته قائد الثورة ورجل الدولة ومن ثم كان شخصية غنية متعددة الجوانب . فيلسوف تخرج عنه تفسيرات شتى تذهب فيه مذاهب متعددة وبالطبع فأنا أقدم اجتهاده الشخصي هنا . . . أننى أقدم فهمي الخاص للمفهوم

عبد الناصر في موضوع بالغ الاهمية والخطورة هـ
موضوع الاشتراكية العلمية وفي تقديري أن عبد الناص
وقد اكتملت صورته يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ قد صا
ملكا للتاريخ والبشرية جمعاء لايسنطيع أن يحتكره أحد

ولقد حاولت ان اتتبع كل ما قال أو كتب منذ ٢٣ يوليو
سنة ١٩٥٢ وبخاصة حتى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ حين
غطت قضية تحرير الارض المحتلة على القضية الاجتماعية
وقد تبينت ان اهم الوثائق التي تحمل فكر عبد الناصر في
الاشتراكية العلمية هي من حيث الترتيب الزمني : اقواله
في جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى
الشعبية ثم ميثاق العمل الوطنى ثم أقواله في جلسات
المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ثم حديثه في جلسة
افتتاح دور الانعقاد الثانى لمجلس الامة في ١٢ نوفمبر
سنة ١٩٦٤ ومن الممكن ان نضيف بيان ٣٠ مارس ،
كتصوير اخير لوضع القضية الاجتماعية في اطار احتدام
المعركة الوطنية » •

وبعد دراسة منهجية ينتهى الاستاذ الى : « اية خسارة
فادحة حلت بالاشتراكيين بفقد هذا المعلم العظيم الذى
دأب بصبر وجلد نادرين على تبسيط ونشر حقائق
الاشتراكية على جماهير شعبنا طوال هذه السنين •• لقد
كان أول معلم نقل الاشتراكية الى وعى ملايين المصريين »

وهو كلام وقع عليه ووافق الدكتور فؤاد زكريا لكي
ينشر في مجلته ♦

وفي دراسة حول نفس الموضوع لاستاذ آخر معروف
هو الدكتور ابراهيم سعد الدين يقول : « يعلن الميثاق
ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج
الصحيح للتقدم وان أى منهج آخر لا يستطيع بالحق أن
يحقق التقدم المنشود ♦

« وقد اصر عبد الناصر دائما على تأكيد ان الاشتراكية
العلمية هي منهجنا وانه لامنهج سواه يمكن ان يؤدي
الى تحقيق التقدم والقضاء على التخلف ♦
« وفي مناقشات الرئيس في اللجنة التحضيرية وفي
المؤتمر القومي للقوى الشعبية يشير الى ضرورة الدراسة
العلمية لمشاكل مجتمعنا باعتبارها الاساس الوحيد
الصحيح لاستنباط الحلول الصحيحة لمشاكل المجتمع وتبين
التأكيد على علمية الاشتراكية باعتبارها صفة اساسية
للمنهج الاشتراكي الذي يطبق في الجمهورية العربية ♦

« وقد صدر الميثاق بعد فترة من التجربة قاربت عشر
سنوات وصفها عبد الناصر في مناقشاته في المؤتمر الوطني
للقوى الشعبية بأنها كانت فترة تجربة وفترة ممارسة ♦
كانت فترة مشينا فيها بالتجربة والخطأ ذلك لان الشعب
الثوري بدأ زحفه الثوري كما يعلن الميثاق (من غير
تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة كذلك فان هذا الزحف

بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى •
فالمبادئ الستة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب
النضال الشعبى واحتياجاته لم تكن نظرية عمل ثورى
كاملة ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق
الارادة الثورية ، وقد تطورت هذه المبادئ الستة بفضل
النضال الشعبى الذى راح يحركها بالتجربة والممارسة
وبالتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به وتأثيرا فيه
نحو برنامج تفصيلى يوضح طريق الثورة الى اهدافها
اللامتناهية • والميثاق على هذا الاساس هو دليل نضال
مجتمعا فى مرحلة التحول الاشتراكى قدمه المناضل
عبد الناصر الى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبى ليكون
اساسا لتوحيد نضال كافة القوى الثورية فى مرحلة
الانتقال الى الاشتراكية •

ان ميثاق العمل الوطنى باعتباره سلاحا للنضال فى
مرحلة الانتقال الى الاشتراكية قد عنى بأن يتعرض الى
كافة القضايا الاساسية لنضال شعبنا المصرى باعتباره
جزءا من امثنا العربية وباعتبارها جزءا من العالم المتخلف
اقتصاديا ، والذى ينشد النمو وتحقيق توسيع قاعدة
الثروة الوطنية •

ولكن الميثاق باعتباره اساسا لتوحيد كافة القوى
الثورية فى مجتمعنا قد تجنب فى نفس الوقت حسم عدد
من القضايا ذات الطبيعة النظرية العامة التى لا يؤدى

حسمها بصورة أو بأخرى الى اية نتائج ايجابية فيما يختص بتوحيد القوى الثورية في مجتمعنا والذي لا يؤدي حسمها بالتالى الى اغناء كفاح شعبنا ونضاله » •
وهذا كلام وافق الدكتور على نشره في مجلته وبعد وفاة عبد الناصر •

وفي مقال لفيلسوف ومفكر كبير من اتجاه مخالف هو الدكتور عثمان أمين ، جاء : « لم يكن دور الثورة المصرية ثورة يوثيو ١٩٥٢ وعبد الناصر مقصورا على مصر وانما تجاوزه الى مناصرة قضية الحرية في كل مكان ومؤازرة حركات التحرر الوطنى في افريقيا وآسيا ودول العالم الثالث وهذه حقيقة لا تحتاج الى بيان فجميع المؤتمرات التى اشتركت مصر فيها والمساعى التى بذلتها في المنظمات السياسية الدولية والاقليمية خير شاهد على الدور القيادى الذى اضطلعت به في هذه الحقبة القصيرة من نضالها •

« كانت امانى الرئيس الراحل ان تستعيد مصر مكانتها لتلحق ركب الحضارة بل لتتقدم هذا الركب كما كان شأنها في ماضيها المجيد •

وواجب الاحرار في هذه البلاد ان يواصلوا السير في هذا الطريق الثورى في بصيرة ومضاء ، حريصين كل الحرص على ان يكون منهج الثورة عندهم كما كان عند زعيمهم ، ان يفكروا كرجال عمل وان يعملوا كرجال فكر »

ومجلات الفكر الرفيع عادة ، والاعداد الخاصة منها بالذات لاتصدر صدفة وانما هى تعبير عن موقف المجلة ككل ازاء حدث كبير فاصل .. هى مساهمة المجلة فى تقييم الحدث أو توجيه المستقبل والعدد الخاص فى مناسبة دقيقة لابد أن يكون بحثا وتعبيرا أميناً عن آراء محددة ، ويحمل مسئوليته أولا وأخيرا رئيس التحرير •

وعلى كل فقد تقدم رئيس التحرير كل الكتاب والمفكرين وأراد أن يكون اكثر شمولاً واحاطة وان يقدم تقييماً كاملاً ليكون دليل عمل للثورة بعد « الفاجعة » •

« لقد اراد اعداؤنا ان يستغلوا احزان أمتنا على رحيل زعيمنا فحاولوا ان يتحكموا فى تشكيل المستقبل بأن يوحوا الينا بفكرة الفراغ والايحاء بفكرة الفراغ يعنى أننا لن نستطيع ان ندير أمورنا أو نوجه أنفسنا بعد ان غاب ذلك الذى كان يدير لنا كل شئ ويوجه كل شئ هكذا اراد الاعداء ان يوهمونا وفى ظنهم ان تصديق هذا الزعم لابد ان يوقع الناس فى الاضطراب والخلط فى كل ما يفعلون • كان التدبير المقصود من نشر فكرة الفراغ نفسياً قبل كل شئ وذلك لان الفراغ بطبيعته مخيف انه هوة تهدد بابتلاع من يقترب منها وظلام يكتنفه من كل جانب وهو عجز عن الاهتداء الى الطريق وتخبط فى الاتجاه وفقدان للغاية من المسار وفضلاً عن ذلك فان هذا الفراغ الذى يزعمون وجوده ليس فراغاً دائماً كان هناك على الدوام

وانما هو فراغ مفاجيء طارىء وأصبحنا فجأة فى احلك الظروف واصعب المواقف انه فى حقيقة الامر تنفرغ امتص الهواء الذى كنا نستنشقه وتركنا ونحن نفتقر الى اسباب الحياة •

من الفكرة التى يريد اعداؤنا ان يشيعوها بيننا ينبغى ان تكون نقطة انطلاقنا فهل نحن حقا فى فراغ •• وهل المشكلة الحقيقية التى يعانينا شعنا بعد غياب القائد هى ان كل شئء يحيط بنا ظلام وان الطريق قد انقطع فجأة أو انتهى الى هوة سحيقة توشك على التهام كل من يحاول مواصلة السير فيه •

« ان الفكر الواعى والتحليل الامين للموقف كفىل بأن يؤدى بنا الى الوصول الى نتيجة هى عكس النتيجة السابقة على خط مستقيم فاذا نظرنا الى الحاضر والمستقبل بعين فاحصة تبين لنا ان أول ما يتسما به بالقياس الى الماضى هو الامتلاء لا الفراغ •• وحسبنا ان نعقد مقارنة بسيطة بين اتجاهات عقولنا قبل عام ١٩٥٢ وبين اتجاهاتها الراهنة لنذكر مدى الامتلاء الذى أصبحت حياتنا تتسم به •

« ان الوصف الصحيح لموقفنا الفكرى بعد غياب القائد هو الامتلاء لا الفراغ ومن المؤكد ان للامتلاء مشكلاته ولكنها أيا كان تعقيداتها ليست مشكلات ولدها الهزال والعقم كما يتصور أصحاب نظرية الفراغ وانما هى

مشكلات تولدت عن الخصوبة والثراء والتنوع الفكرى
الذى لابد ان يتميز به العصر الذى نجد أنفسنا الان على
ابوابه » *

وقام الدكتور الان ليتصل تماما من أى مسئولية عن
نظرية الامتلاء ووصفها بأنها « مقال كان لابد
منه وفى اللحظة التى كتب فيها لابد ان تكون لهجته مخففة
لاخوفا من شيء بل احتراما لجلال الموت » *

والاستاذ الصارم الضمير قد يخدم جلال الموت بمرثية
أو قصيدة ولكن ليس ببحث ينتهى الى نظرية يقول انها
تقوم على « الفكر الواعى والتحليل الامين والوقائع
الموضوعية » *

ويستتكف الدكتور ان يذكره احد بالمقال قائلا « لا يصلح
ان يحاسب أحد على مايقوله فى كلمة تأبين • الا يتبع
الجميع فى مثل هذه الظروف قاعدة اذكروا محاسن
موتاكم » !

بل ويسأل « هل من الامانة العلمية بل والاخلاقية ان
تختار هذه المناسبة بالذات • • وهل يمكن ان يكتب تاريخ
اى تجربة فى الحكم أو يحكم على زعيم من خلال كلمات
الرثاء التى تقال بعد الوفاة مباشرة » *

ويثور الدكتور لان مقالا بغير امضاء فى رثاء عبد الناصر
قد نسب اليه خطأ ويتخذ ذلك مثلا صارخا لما يلحق به
من اذى وان الذين يكتبون ضده لا يستطيعون تمييز

« أسلوبه التقريرى » من أسلوب المقال « الشاعرى »
ويحدد الكاتب الذى وقع فى اللبس •

« ما رأى الاستاذ أبو سيف يوسف فى أن كل من قرأ
لى شيئاً يعرف أن أسلوبى التقريرى المباشر لا يتسم
للأسف بشيء من شاعرية أسلوب الدكتور مكاوى •• وأنت
تعلم يا أبا سيف أننى كنت أستطيع أن أصنع من هذه
السقطة فضيحة •• واننى كنت أستطيع أن أكتب فى
السخرية من استنتاجك وما يتبعه من نتائج صفحتان على
الأقل • ولكننى سأكتفى بتقرير الحقيقة واسكت مراعاة
منى للأداب المناقشة وتمسكا بفضيلة العفو عند المقدرة •
وفضائل الدكتور متدافعة أكثر من أن تعد أو تحصى
وليس بينها التواضع أو الموضوعية !

ويعثر الدكتور فى النهاية على الحجة التى يفهم بها
خصومه ويشهرها ضد الماركسيين خاصة « الا تذكروا
كلمات الرثاء الرائعة التى قالها عن ستالين فى عام ١٩٥٣
نفس أولئك الذين أدانوه عام ١٩٥٦ » •

وقد شبه عبد الناصر وهوجم بأنه هتلر وكان أول من
قال بهذا « جى موليه » ثم « ايدن » خلال أزمة السويس
وقد دعا الشعب المصرى الى أن يثور ليتحرر من
« الفاشية » الجديدة وأعلن بأنه « لامهانة مع الفاشية
المصرية وان مهانة هتلر كانت سببا فى الحرب العالمية
الثانية •

وكانت المقارنة مفلسة مفتعلة !

وقد كان أول من عقد المقارنة بين عبد الناصر وستالين هو دكتور من غلاة وأقطاب اليمين « وحيد رأفت » وبنفس النتائج التي انتهى اليها الدكتور « اليساري فؤاد زكريا .. » !

وقضية ستالين مختلفة في الشكل والجوهر وهي تاريخ وراث لا يتصل من قريب أو بعيد بما حدث في مصر .. والفكر العالم لا يلقى بالمقولات والقضايا بغير ان يشفعها بالحجج وبأوجه المقارنة ثم نتائجها .

وعلى كل اذا كان رفاق ستالين قد اخطأوا في سنة ١٩٥٣ أو سنة ١٩٥٦ فليس هذا مبررا لكي يكرر الدكتور الخطأ ولم يصبح هذا التصرف قانونا سياسيا يطبق دائما .

وكلمات الرثاء التي قالها رفاق ستالين حينما مات كانت كلمات رثاء .. لم تكن نظريات جديدة ابتكروها بمناسبة موته .. وحينما ارادوا ان ينقدوا ستالين وأخطاءه لم يقفوا ليظهروا به امام العالم .. ولكن في جلسة سرية من مؤتمر الحزب الشيوعي السوفييتي وفيما بين الشيوعيين وبعضهم ومن أقطاب الاحزاب الشيوعية . كان نقدا في اطار الايمان والثقة بالتجربة والثورة وبأن اخطاء ستالين كانت اخطاء سوف تتجاوزها التجربة وبقوتها الذاتية وقدرتها الخلاقة .

لم يقف أحد ليلعن الثلاثين عاما من حكم ستالين وانها لم تحقق شيئا وانها قضت على روسيا وخربت روح الانسان الروسى .. وانه كان على كل الشيوعيين الصالحين أن لا يشاركون فيها بل ان يقاوموها .. ويرفعوا راية الحرب عليها ! مثلما فعل الدكتور .. هنا

وبعد بعض الوقت وحينما أدى الشطط في نقد ستالين الى انحرافات من نوع آخر ، أعيد التقييم أكثر موضوعية واعترف بانها مهما كانت الاخطاء نحو الشرعية الاشتراكية والقيادة الجماعية الا ان ستالين قاد بناء الاشتراكية في روسيا .. وكان له الفضل في النجاح وان ستالين قـاد الحرب الوطنية ضد المانيا .. معركة الحياة والموت لروسيا وكان له الفضل في النصر . وتصدر تباعا الدراسات والكتب والافلام التى تضع الحقائق في نصابها الصحيح . ويستغرب الدكتور ببراءة روحه كيف يستنكر بعض الناس ان يغير موقفه ورأيه الآن .. أليس له الحق في ذلك لانه « بعد خمس سنوات لابد ان نفتح امام الذهن آفاقا جديدة وان نلقى على التجربة السابقة مزيدا من الضوء » ولايستغرب احد ان يغير الدكتور أو يطور مواقفه بعد خمس سنوات « مضيئة » ومشرقة .. كشف ضوءها كل شيء ولكن ما يستغربه الناس ان يتحول الاستاذ من النقيض الى النقيض وان لا يقدم اى اكتشافات أو اسباب كانت خافية دفيئة لم يعرف بها

احد قبل الان •

وما يستغربه الناس هو ان يتحول من الحماس الكامل •• الى الرفض المطلق •• بعد خمس سنوات •
وما يستغربه الناس ويستثير ريبتهم ان تتفتح الآفاق الجديدة امام الدكتور في الوقت الذي نشن فيه حملة محمومة ضد اشتراكية « عبد الناصر » وتريد استعادة اراضي الاصلاح الزراعى التى اغتصبت بغير حق وتريد استرجاع القطاع العام الذى أمم لاصحابه وتريد الغاء حق التعليم لابناء الفقراء •

وقد يغضب الدكتور ان نتهمه بأنه لعبة في يد اليمين أو اداة لهم ولكن •• أية خدمة لليمين أجل من أن يشكك الاشتراكيين كلا منهم في الآخر ، وان يثير كل جماعة منهم ضد الاخرى ، وان يشكك في كل ما أعتقدوا انهم حققوه ، وانجزوه •

لقد عجز كتاب اليمين المفلسين عن ان يفعلوا هذا وان يفقدوا الناس الثقة وليس هناك أثمن من أن يعثر اليمين على « شاهد ملك » يقف على منصة عالية ليقدم شهادة يلعن فيها كل ما حدث •• هذه شهادة لاتقدر بثمن ولا يتردد اليمين في ان يحتمل بضعة كلمات وشتائم جوفاء توجه اليه أيضا •

وقد كان هناك كثيرون من مؤيدى الثورة وتجربة عبد الناصر لهم تحفظات كثيرة وجوهرية وكان هناك كثير

من خصوم عبد الناصر « الوطنيين » لهم آراء وتفسيرات معارضة ولكن ازاء الحملات المشبوهة والتي تهدد كل شىء قرروا ان ينتظروا وأن يؤجلوا نقدهم وان ينضموا الآن للدفاع عن الاسس العامة المهددة •

ويقول الدكتور وهذا هو محور مقالاته « ان همه الاول والاخير هو تنبيه اليسار الى الحقيقة • وليس هناك وقت انسب من الوقت الحالى لتنبيه اليسار الى الحقيقة قبل فوات الاوان » •

وهو قد كان دائما •• ومن البداية الى النهاية يتمنى « ان يسير اليسار فى طريقه المستقل ويكشف مدى تباعد التجربة (الناصرية) عن الاشتراكية بمعناها الصحيح » وقد خيب اليسار أمل الحكيم « ان الردود التى قرأتها تجعلنى أميل الى التشاؤم من قدرة اليسار على الخروج من جموده القديم » •

واليسار الذى يعنيه هنا والذى نذر نفسه لتقويمه هو اليسار الماركسى • وهو يريد ان ينبهه الآن الى خطأ جسيم وقع فيه فى الستينيات •• والدكتور ليس غريباً على هذا اليسار الذى يرى ان هذا هو أنسب الاوقات لحاسبته وتنبيهه •• وهو كان وثيق الصلة به وبمفكره وكتابه فى تلك الفترة •• وكان يستكتبهم فى مجلته •• بل ويحرص على ان يساهموا لاقصى مدى فى تحريرها

ولا يكاد يخلو عدد من مقالاتهم ودراساتهم .. ومعظمها
حول التجربة واصالتها وقدرتها على الانتقال الى
الاشتراكية *

وقد كان أنسب الاوقات لتبنيهم هو قبل ان يتورطوا
في الخطأ القاتل خاصة وهو كان يعرف منذ البداية عيوب
التجربة حينما كان اليمين يحرق لها البخور واليسار
بالطبع !

ولاندرى كيف سمح له ضميره ان يسكت سنين طويلة
على خطيئة اليسار الكبرى بل وان يشجعهم على التماذى
ميا *

السقطه

كانت السقطه وأولى الكبائر فى نظر الدكتور هى التى
تفضل مشكورا باهدائها لى خاصة « تعليقاً على الرواية
التي نقلها محمد عودة عن رغبة عبد الناصر فى بناء حزب
ثورى يضم الماركسيين المصريين بعد حل الحزب الشيوعى
المصرى ، أقول بعد القرارات الاشتراكية بسنتين كاملتين
وقع انقلاب على صالح السعدى فى العراق وذبح من
اليساريين حتى المعتدلين منهم عشرات الآلاف فى ليلة
واحدة * وفى هذه الليلة كان الاعلام المصرى وعلى
رأسه جريدة الاهرام بكل ما كان يربطها من علاقات
خاصة بقمة السلطة أشبه بغرفة عمليات تتابع تطورات
عملية ذبح اليسار ساعة بساعة وتصفق لها مهلة فهل
يمكن ان يصدر تصرف كهذا عن جهاز أقترب من اليسار
ولو الى ربع الطريق وهل يظل من الممكن بعد ذلك ان
يفرج عن اليساريين كنتيجة طبيعية لتقارب التجربة
الناصرية معهم » *

ويدخل الدكتور هنا بطرف جديد فى القضية وهو
البعث ، لقد كان همه نفى الاشتراكية واليسارية عن
الناصريين واثبات استحالة التحالف أو التعايش بينهم

وبين الماركسيين ولكنه تعزيزا للادلة جاء بطرف ثالث ودليل دامغ ♦♦ مشفوع بدم عشرة آلاف شيوعي ♦
والناصريون والبعثيون والشيوعيون قوى اساسية للثورة العربية بل هم القوى الاساسية وبنفس الترتيب ويعتمد نجاح الثورة واستمرارها على قدرتهم على التحالف والتعايش بل والتفاعل وعلى امكانهم ابتداع صيغ عربية وخالقة تخلص الفكر والتطبيق ♦♦ وقد نشب الخلاف فيما بينهم في مراحل وفترات كثيرة والأوقات طويلة ووصل الى اقصاه في العراق خاصة ودفع جميع العرب والثوريين الثمن باهظا وكان طبيعيا ان يصلوا في النهاية الى النتيجة الوحيدة وهي ان الاهداف المشتركة تحتم طرق عمل وكفاح مشتركة وانه ليس لهم الا ان يكافحوا معا أو ان يهلكوا منفردين واحدا بعد الآخر ♦

وعلى هذا الاساس قامت في العراق — حيث نشبت المذبحة التي ينشقى بها الدكتور — جبهة وطنية من البعثيين والشيوعيين والقوميين والاكراد هي التي تحكم والتي يعتمد عليها في الحياة السياسية هناك ♦

وقامت قبلها في سوريا جبهة وطنية من البعثيين والشيوعيين والناصريين وكل القوى الوجدوية وكانت دعامة الاستقرار السياسى في سوريا حتى الان ♦
وفي مصر تتأكد القوى الناصرية والماركسية وكل القوى الوطنية التقدمية يوما بعد يوم ان حماية الثورة وضمان

الاشتراكية مرهون بقدرتهم على العمل معا في الاطار
الملائم والذي يمكن ان يسعهم جميعا وليس لهم طريق
آخر *

ولا يثير قوى الثورة المضادة شيء مثل وحدة قوى
اليسار وهي قد استمدت بقاءها أولا من صراعات اليسار
ولابد ان تستमित بكل الوسائل لكي تنبش دائما التاريخ،
ولتثير كل الشكوك وتوقظ كل أسباب الخلاف * هكذا
يساهم الدكتور * * ودكثرة كثيرون مثله بدور هام *
ويتشدد الدكتور كثيرا « بالحقائق التاريخية » ويستمد
منها كل براهينه ولهذا نقدمها اليه *

حينما حدث الانقلاب في العراق سنة ١٩٦٣ كانت كل
الصلات والعلاقات مقطوعة تماما بين عبد الناصر والبعث *
وقد اشتدت الازمة منذ استقالة وزارة البعث من
حكومة الوحدة ثم حدثت قطيعة كاملة بعد الانفصال *
وقد أيد البعث الانفصال وكتب البيان السياسى للحكومة
الانفصالية أحد قادة البعث « صلاح البيطار » ووقعه
باسم الحزب ومع قوى اليمين واليسار السورية التى
شنت الحملة على الجمهورية العربية المتحدة قام البعث
بحملة تميزت بضراوتها وفاقته كل الحملات *

وتطرف أحد قادة البعث ونائب سابق لرئيس
الجمهورية العربية المتحدة « أكرم الحوراني » وأكد أن
عبد الناصر منذ البداية رجل اسرائيل والصهيونية وأنه جاء

لينفذ مخططاتها •• وكان أول وآخر من قال بهذا وجروء عليه ودفع كل حياته السياسية ثمنا ١
 وكان البعث قد أنتهى في ذلك الحين الى ان خصمه الاساسى وعدوه في الوطن العربى هو عبد الناصر وأنه استولى على شعارات البعث وجماهيره وتخلص منهم بعد ذلك وكان الحزب يعمل للعكس ، أن يستولى على الجماهير الناصرية وعلى القيادة •• ولهذا انصب كل الهجوم لابطال سحر عبد الناصر على الجماهير •

وكان هذا هو السائد حتى الانقلاب ، وحينما قام البعث بالانقلاب في العراق ثم في سوريا كان يريد ان يقيم سلطة في مواجهة عبد الناصر وثأرا منه وبعيدة تماما عنه • ولم يكن ممكنا لمصر في ذلك الحين ان يكون لها دخل باحداث العراق لا ان تديرها وتوجهها •

وحينما وقع الانقلاب كان العراق منقسما بين معسكرين يتربص كل منهما بالآخر ، عبد الكريم قاسم والشيوعيون في معسكر والقوميون ويتصدرهم البعث في المعسكر الاخر •

وكان الحقد وبحر من الدم يفيض بين الطرفين • بالنسبة للقوميين وقف قاسم والشيوعيون ضد الوحدة والقومية العربية وهى محور حياة العراق وتاريخه وكان لابد ان تتحقق بعد الثورة ١٩٥٨ مباشرة وبالنسبة لهم كان الشيوعيون مسئولين عن الاغتيالات والمذابح الكبيرة في

كركوك والموصل والتي ألقى قاسم مسؤوليتها علنا على الشيوعيين وقرر محاكمتهم • وبالنسبة لقاسم والشيوعيين كان القوميون والوحدويون يريدون القضاء على سيادة العراق وعلى الحزب الشيوعي بتأييد من دمشق والقاهرة ويريدون وضع العراق تحت حكم عبد الناصر !

وكانت العلاقة بين قاسم والشيوعيين متعثرة ومتوترة ولكنها كانت ضرورة للثنتين •• كان حكم قاسم معزولا وكان الشيوعيون هم سنده الشعبي الوحيد •• وبالنسبة للشيوعيين كانوا يرون البديل الوحيد هو البعث والقوميون •• كان قاسم هو « السوء الافضل » !

وحينما حدث الانقلاب مفاجئا للجميع فزع الشيوعيون ونزلوا على عجل بقوتهم واسلحتهم الى الشارع دفاعا عن قاسم والحكم القائم •• واستماتوا في الدفاع •• كانت حربا أهلية بين طرفين حول السلطة •• لم تكن مذبحة انقض فيها فريق على الآخر غير المسلح •• ولم يسقط في القتال عشرات الآلاف ولا يعرف احد العدد بالضبط وهو على حسب تقدير البعث بضعة مئات وحسب تقدير الطرف الآخر لا يزيد عن ثلاثة آلاف وهو بالطبع لا يخفف من المأساة ولكن يكشف دقة الدكتور !

وبعد فشل الشيوعيين ونهاية قاسم بدأت سلسلة من الاغتيالات استمرت بعض الوقت •• وكانت تصفية لحسابات المعركة ولحسابات كركوك والموصل ، وقد تكون

اليمية ومؤسفة يستنكرها الجميع ولكن لا يمكن ان يلقي احد مسئوليتها على مصر أو على جريدة الاهرام • ويستمد الدكتور دليله على مسئولية مصر من ان جريدة الاهرام ذات الصلة الوثيقة بقمة السلطة تحولت الى غرفة عمليات ليلة الانقلاب • • ويعنى انها تحولت الى غرفة القيادة التى ادارت المذبحة ولكن لم يكن غريبا ان تتحول الأهرام الى غرفة عمليات « صحفية » • كان حدثا هز العالم العربى ولا بد ان تعلن فيه الطوارئ فى أى جريدة كبرى • • ولكن لم يكن الاهرام ولا قمة السلطة فى مصر يصدر أوامر وتعليمات « الذبح » أو يستطيع ان يفعل ا

وبعد الانقلاب فى العراق حدث الانقلاب فى سوريا وقد اشترك فيه ضباط كثيرون وحدويون ناصريون كانوا لازالوا فى الجيش السورى منذ الوحدة ومن المؤمنين بقيادة عبد الناصر ولكن كان العمل الاول للبعث بعد نجاح الانقلاب هو تصفية هؤلاء الضباط تصفية دموية أو سياسية واقتنائهم من الجيش ومن كل الحياة السياسية •

وقد جاء البعث العراقى والسورى بعد تولى السلطة الى مصر ليبحث وحدة ثلاثية مع مصر وكان هذا هو الظاهر وكان سببه ان كانت الجماهير العربية خاصة فى العراق وسوريا تتطلع الى مصر والى عبد الناصر ولا تتطلع الى احد آخر • • وكانت الجماهير لا تثق فى حكم أو نظام

لاتباركه مصر ولا يقبله عبد الناصر ♦♦ وقد جاء البعث في العراق بعبد السلام عارف واجهة سياسية لهذا الهدف ♦ وكانت الجماهير في سوريا في لهفة على عودة الوحدة وتتصور عودتها مباشرة بعد سقوط الانفصال وتحت هذا الضغط جاء البعث الى القاهرة لبحث الوحدة مع عبد الناصر ودارت المباحثات الثلاثية المشهورة ♦♦ وقد نشرت محاضر هذه المباحثات بعدئذ كاملة وقدمت وثيقة من أهم وثائق الثورة وقد رأى عبد الناصر ان يكشف المناورة وان يخضع كل أفكاره وسياسته ومواقفه صريحة في مواجهتهم وان يحدد « الناصرية » في مواجهة البعث وامام كل العرب وقد جعل هذا من الوثيقة عملا فذا افحم الطرف الآخر ♦♦ ولو كلف الدكتور نفسه عناء قراءتها لتورع كثيرا عن معظم افتراءاته ♦

وقد فشلت مباحثات الوحدة ♦♦ كما كان مقدرا لها ان تفشل وعاد البعث الى بغداد ودمشق أكثر حقدًا وعداً لعبد الناصر ♦ والقى كل المسئولية عليه وبدأت حملة اشد ضراوة ♦

وكانت مصر في ذلك الحين مستغرقة في عمل مجيد وهو حرب اليمن وكانت تبذل الدم والجهد غزيرا في شبه الجزيرة ولكن البعث « محرر الامة العربية وموحدها » لم يجد بأسا في ان يشدد الهجوم على عبد الناصر وعلى الحرب نفسها !

وادی هذا الى الانقلاب على البعث في العراق بقيادة
عبد السلام عارف وادی بعد ذلك ببعض الوقت الى ثورة
على الثورة في داخل البعث بسوريا اطاحت بالقيادة القديمة
المتخلفة ولاقامة بعث جديد لا يعيش بالعداء لمصر
وعبد الناصر !

ولا بد لهذا ان نعيد الهدية للدكتور وان نطلب منه شرحا
أكثر تفصيلا كيف سخر عبد الناصر البعث في العراق لذبح
عشرة آلاف شيوعي •• وليقدم لنا دراسة « دسمة » من
دراساته !

واخيرا •• فان الانقلاب في العراق قد تم في سنة ١٩٦٣ •
والافراج عن الشيوعيين المصريين حدث سنة ١٩٦٤
وحل الحزب الشيوعي المصري تم سنة ١٩٦٥ ولا ندرى
اين الغرابة في ان يقوم التفاهم والتحالف حينئذ •• وهو
لم يقيم قبل « المذبحة » أو خلالها ليخرج الدكتور بنتائجه •
وأى عجب في أن يبدأ عبد الناصر الطريق الذي انتهى
اليه البعثيون والشيوعيون والقوميون •• وخاصة اطراف
المذبحة « الرهيبة » في العراق التي يعتمد عليها الدكتور
في أهم أدلته !

ان الخلاف والصدام بين القوى الوطنية والثورية قد
يكون مؤسفا ومؤلما ولكنه واقع • وانتهاء هذا الخلاف
والصدام نهايات ايجابية بالاتفاق والعمل المشترك في كل
الصيغ والصور •• ليس امرا مستغربا والعلاقات بين

القوى الوطنية والثورة ليست علاقات ذاتية أو شخصية ،
والصدامات بينها ليست ثأرا فرديا • • ولكنها قضايا
موضوعية تحكمها قوى وقوانين هي التي تحكم المجتمع
وحركة التاريخ •

وحينما تكون الاهداف مشتركة فلا بد ان يكتشف كل
الاطراف حتمية التحالف والتكامل •

وقد يكون من حق كل قوة أو حزب ان يكون له
استقلاله الذاتى أو تميزه الخاص أو طريقه واهدافه الخاصة
وقد يكون له حق النقد والمعارضة ولكن لا تستطيع أى قوة
وطنية أو ثورية ان تعمل وحدها خاصة فى واقعنا العربى
أو ان تحتكر « الثورة » لنفسها أو ان تضع نفسها فوق
كل القوى الاخرى أو ضد كل القوى الاخرى •

وقد كان من أهم الدروس التى علمها لينين للماركسيين
والتي جعلها محورا لاثبات قدرتهم السياسية والثورية هي
العمل مع القوى والاحزاب الاخرى • • واقامة الجبهات
وعقد المحالفات القصيرة والطويلة المدى والاتفاق على
خطوط أو برامج مشتركة وقال لينين ان التاريخ لا يسير فى
طريق مستقيم بل حافل بالانحناءات والمنعطفات ولا بد
للثوريين ان يتعلموا السير فيها • ونصح لينين ماركسيى
الشرق الذين يكافحون فى واقع وظروف مختلفة ومعقدة
ان يلائموا النظرية لواقع بلادهم ومجتمعهم !
ولكن الدكتور الاكثر حرصا على الماركسية من لينين يريد

ان يثبت للماركسيين ان تحالفهم مع الناصريين كان خيانة
للثورة وللشراكية وان عليهم ان يعلنوا ندمهم وان
لا يكرروا الخطيئة •

ويشعر الدكتور بالتشاؤم لان الماركسيين لم يستجيبوا
لدعوته ولا شيء يبعث تفاؤله مثل أن ينقلب الماركسيون على
الناصرين وأن يشبهوا بهم وان يقوم الناصريون بالرد
وان يستغرق الطرفان في حرب عنيفة • • هي أشد ما يسعد
به اليمين تماما كما يسعد به الدكتور •

ويتشفى الدكتور بالشيوعيين قائلا « آسف أشد الاسف
لأننى لا استطيع ان اشترى لكم الراحة النفسية على
حساب الحقيقة التاريخية » •

ولكنه يفعل ذلك بأشد اليسر وبلا أى حرج اذا ماتعلق
الأمر براحته النفسية ، وشفاء أحقادهم وضغائنه الصغيرة •

السقطة الثانية

والكبيرة الثانية والاشد خطبا والتي اصابته الدكنور بالدهشة والالام كانت الرأى فى نكسة ٥ يونيو •

« احسست بالدهشة والالام حين قرأت منشور الدعاية الطويل الذى كتبه الاستاذ محمد عودة عن السياسة الخارجية فى عهد التجربة الناصرية والذى جعل فيه السياسة الخارجية هى المحك الوحيد لنقد الثورة •• فقال بالحرف الواحد : يقاس نقد الثورة اذا كان علميا وموضوعيا ونزيها بانجاز واحد هو ما حققته للقضية المصرية ، متجاهلا بذلك كل المقاييس الاخرى المتعلقة بحياة الانسان وأمنه وطمأنينته وحرياته ومأكله وصحته وتعليمه بل متجاهلا التداخل الوثيق بين هذه العوامل الداخلية وبين أى تحرك يمكن تحقيقه بالنسبة الى القضية المصرية •• والامر المؤسف هو ان الاستاذ عودة لم يعمل أى حساب لذلك الانهيار الذى طرأ على معياره الوحيد وهو القضية المصرية بحيث اعادها نصف قرن الى الوراء بعد ٥ يونيو ووصل ذلك التجاهل الى ذروته حين قال اذا كانت قد حدثت أخطاء فى السياسة الخارجية المصرية أو الدولية فانها لم تقض علينا ولم تكسرنا ولكنها عرقتنا •»

وحمل الدكتور النفير ليعلم « رأيتم الى أى حد يزيق
اليسار المصرى تاريخنا بعد ٥ يونيو » *
وقد احسست بالدهشة بدورى ولكن مع الرثاء
والاسى .. ولا احد يعرف القضية المصرية الآن بانها
القضية الوطنية وتحرير أرض الوطن فقط ، سوى الدكتور
نفسه ، وهذا تعريف تقليدى كان سائدا حتى سننى
الثلاثينيات والاربعينيات من هذا العصر وذلك حينما كانت
البورجوازية الوطنية هى التى تقود وحدها النضال الوطنى
وكان الباشوات والبكوات الوطنيون هم القادة وحدهم
وكان المحتوى الاجتماعى للوطنية لا زال محدودا وكان
الشعار السائد هو تحرير الاقتصاد من يد الاجانب أى
نقل الثروة من الرأسماليين الاجانب الى الرأس مالبن
الوطنيين * ولكن لم يعد هذا التعريف قائما أو صحيحا
ولا يستعمله احد و « اليساريون » خاصة !

وقد أعلنت ثورة يوليو منذ البداية ان القضية المصرية
قضية مزدوجة ذات وجهين يرتبطان ارتباطا عضويا وهى
قضية وطنية واجتماعية معا ، وكان هذا أهم خصائصها
وما منحها قوة الدفع التى صمدت وتطورت بها الى أبعد
مدى وفى المبادئ الستة وهى أول برنامج لها كان نصف
البرنامج حول المضمون الاجتماعى للكفاح الوطنى وتبدأ
بتصفية الاقطاع والغاء الاحتكار وسيطرة رأس المال ثم

اقامة عدالة اجتماعية ولم تقف الثورة عند هذا الحد ..
وسارت حتى الاشتراكية العلمية في الميثاق الوطنى ..
وهى قد اكدت فى كل خطوة ان تحرير الارض انما يعنى
تحرير الشعب وان تحرير الشعب مقدمة ونهاية لتحرير
الارض .

ولم يكن ممكنا أو معقولا الدفاع عن ثورة ضد هجمة
الدكتور الكاسحة باغفال أهم اركان الثورة والتجربة
الناصرية كما يسميها .
ويتحدث الدكتور كثيرا عن الامانة العلمية ولكنه لا يضرب
مثلا .

وقد كتبت صراحة وضمنا عن القضية المصرية فى هذا
الاطار ولايمكن ان يفهم أحد ان القضية المصرية كما
طرحتها فى هذا الحوار مع الدكتور الذى يهاجم أساسا
اشتراكية الثورة يمكن ان تكون القضية الوطنية وحدها ..
وتحرير الوطن من الاحتلال فقط وبغير تحرير جماهير
الشعب من الاستغلال .
قلت فى نفس البحث الذى يستشهد الدكتور بفقراته ..
والمنشور هنا .

» ان نقد فيلسوف ومفكر للثورة وتقييمها يجب أن
يكون نقدا علميا قائما على منهج وموقف ورؤية واضحة
ولابد أن يبدأ بنقد فكر الثورة ثم تطبيقاتها وسياستها

وبهذا يستطيع أن يكشف عن طبيعتها فاشية كانت أم اشتراكية • وهل كانت متناسقة متكاملة نظريا وعمليا أم كانت منفصلة زائفة » •

وقلت أيضا في نفس الفصل الذى انتزع منه الدكتور فقرته « كان للثورة خطوطها السياسية الثابتة وتطبيقاتها وهى اجلاء الاستعمار القديم وصد الاستعمار الجديد • وفى الداخل كان للثورة هدف واحد هو تصفية المجتمع القديم المستغل واقامة مجتمع يحقق العدل والرخاء » • بل وكانت أول فقرة بدأ بها هذا الفصل هى « هل كانت الناصرية فاشية سحقت مصر والمصريين •• أم كانت ثورة وطنية اشتراكية حررت ملايين مصر المسحوقة » •

ولم يكن هذا تحديدا للقضية المصرية وتعريفا لها بأنها القضية الوطنية فقط باستبعاد القضية الاجتماعية • وينتزع الدكتور فقرات يضعها فى اطار مختلف لاثبات مايريد وليس هذا أرفع صور الأمانة العلمية !

ويستفطع الدكتور تماما ويستنكف أن نقول أن هزيمة يونيو قد عركتنا ولم تكسرنا وأن يصل بنا الزيف وتزييف التاريخ الى هذا المدى !

وهذا القول شائع معروف ويصح فى حياة الافراد

كما يصح في حياة الشعوب • وهو يقول ان المصائب
التي لا تكسرنا تصنعنا •• وقد انطبق ولم يرفضه
ويكذبه أحد قبل الدكتور •

واذا كانت نكسة • يونيو لم نتركها ومن الافتراء على
التاريخ وتزييفه أن نقول هذا •• فلا بد وانها قضت
علينا ولم تبق ولم تذر !

و • يونيو كارثة وأكبر الكوارث وأشدّها ولكنها لم
تكن القاضية •• وهي ليست الوحيدة الفريدة في نوعها
والتي لم تحدث الا في مصر وبسبب النظام الذي
كان قائما •

وحياة الشعوب وتاريخها وخاصة الشعوب العريقة
هو تاريخ الانتكاسات بقدر ما هو الانتصارات التي
حدثت • ويحفل التاريخ القديم والحديث بالأمثلة التي
لا تنتهي • وفي الحرب العالمية الثانية وصلت القوات
الألمانية الى مشارف موسكو وعلى بعد ٢٨ ميلا بالضبط
منها •

ومنذ قام النظام النازي وهو يؤكد أن هدفه الأول
والأخير هو شن حرب صليبية على « البلشفية »
ولاستئصالها « نهائيا » وفصل هتلر في انجيله السياسي
كتاب « كفاحي » الخطة نظريا وعمليا • وكان الاجهاز
على البلشفية في نفس الوقت خطة (التوسع شرقا) الى
آسيا عن طريق أوكرانيا الروسية وهي استراتيجية

• الامبريالية الألمانية منذ بدايتها

وكان قادة الاتحاد السوفييتي يعرفون هذا تمام المعرفة وكانت كل خططهم وسياساتهم في البناء والدفاع تقوم على اعداد الاتحاد السوفييتي للمواجهة المحتومة مع « النازية » •

وقبل الهجوم ببضعة أشهر أبلغ ايدن وزير الخارجية البريطاني ستالين بأن المعلومات المتوافرة لدى المخابرات البريطانية تؤكد أن الهجوم الألماني سيبدأ في صيف سنة ١٩٤١ على روسيا •

وحصلت المخابرات السوفييتية على وثائق ومعلومات تثبت هذا الرأي وتؤكد • • قدمتها الى القيادة وقبل الهجوم بيوم واحد هرب جندي ألماني « شيوعى » من وحدته وعبر الى الحدود السوفييتية وكشف لهم السر أن أوامر الزحف قد صدرت وأن الهجوم سيقع في الغد •

ومع هذا وقعت الكارثة واجتاحت الجيوش النازية روسيا البيضاء وأوكرانيا أهم جمهوريات الاتحاد السوفييتي واستطاع الطيران الألماني أن يقضى على معظم الطيران السوفييتي على الارض ووصلت القوات النازية منتصرة حتى ضواحي موسكو • وأعلن معلقون عسكريون كثيرون بل وأقطاب سياسيون أن المعركة لن تستغرق أكثر من أسبوعين وأن روسيا « البلشفية »

• قد انهارت وانتهت

وبعد الصدمة الأولى والقاصمة نهضت روسيا ثم ردت
ثم قلبت الميزان وانتهت قواتها في قلب برلين !
وحدث الشيء نفسه للولايات المتحدة الأمريكية •
كان الصراع حول المحيط « الباسفيكي » •• ثم على
آسيا ، محور الحرب بين الولايات المتحدة واليابان وكان
كلاهما واثقا من حتميتها •

وقد بنت اليابان قوتها البحرية والعسكرية عامة على
هذا الأساس وأقامت الولايات المتحدة كل استراتيجيتها
المضادة على قوة بحرية وجوية تستطيع أن تقضى على
اليابان •

وقبل الحرب استطاعت المخابرات الأمريكية أن تحصل
على الشفرة السرية اليابانية كاملة وأن تعرف منها كل
شيء عن خطط اليابان ومشاريعها وموعد الحرب وضربتها
الأولى • وكانت المخابرات السوفييتية بدورها قد
حصلت عن طريق أبرع جواسيسها وجواسيس الحرب
العالمية الثانية — سورج — على معلومات مماثلة وبنفس
القدر من الأهمية وتبادلتها مع الحلفاء •

ولكن فوجئت الولايات المتحدة بضرورة قاصمة ضد
البحرية وفي أهم قواعدها في «بيرل هاربور» كانت أكبر
كارثة من نوعها في التاريخ الأمريكي شلت قدرة

الأسطول وأهم سلاح تعتمد عليه الولايات المتحدة في الحرب • ومنحت اليابان المبادأة والتفوق الاستراتيجي المطلق للمرحلة الأولى من الحرب • ولكن انتهت الحرب بعدئذ نهاية مختلفة وكسبتها الولايات المتحدة ولم تنقطع الكوارث عن بريطانيا خلال الحرب • لم تكن بريطانيا مستعدة ومعبأة كما ينبغي • وتوالت الكوارث ، أفطع الكوارث في التاريخ البريطاني وأشدّها مهانة ومذلة • فرت القوات البريطانية في دنكرك ، وأسرت الجيوش البريطانية في طبرق وسقطت سنغافورة أكبر القواعد البحرية في آسيا • ولم يجد تشرشل ما يقدمه للشعب البريطاني سوى العرق والدم والدموع طوال أربع سنوات مريرة من الحرب ثم انقلب الميزان وخرجت بريطانيا منتصرة !

وقد بنت فرنسا «خط ماجينو» أقوى حزام استراتيجي حول حدودها الشمالية وانتهت الى أنه حزام الأمان حول فرنسا والذي لا يخترق واعتمد دفاعها أساسا عليه •• ولكن خلال أيام معدودة من الحرب سقط خط ماجينو كله وتدفقت القوات الألمانية في هجوم كاسح حتى باريس واحتلت نصف فرنسا •• وكانت أعظم كوارث التاريخ الفرنسي واحتلت فرنسا ولم تسقط • خرج ديغول وقامت فرنسا الحرة وبدأت المقاومة واستمرت حتى انهزمت ألمانيا وتحررت فرنسا •

وتولى ديجول السلطة وبدأ تاريخ آخر •
 وفى الجانب الآخر أيضا حدث نفس الشيء • وقد
 هزمت ألمانيا فى الحرب هزيمة صمم الحلفاء أن تكون
 نهاية تاريخها وأن تجرد من كل قدرة على أن تقوم ثانية
 دولة عظمى أو دولة محاربة وقسمت ألمانيا الى أربع
 مناطق احتلال بين الدول الحلفاء الأربع وتحولت برلين
 العاصمة الى مقر قيادة الاحتلال الرباعى • ولكن قامت
 بعدئذ دولة من ثلاث مناطق هى ألمانيا الغربية حققت بعد
 سنوات ما سمي المعجزة الالمانية أغنى وأقوى دولة فى
 أوروبا وتحققت على الضفة الاخرى معجزة المانية فريدة
 وقامت فى منطقة الاحتلال السوفيتى دولة المانية
 اشتراكية •• وفى وطن كارل ماركس قامت فى المقاطعات
 الالمانية الزراعية والمتخلفة دولة اشتراكية صناعية فى
 مقدمة الدول الصناعية الرئيسية فى العالم !

وما حدث لليابان لم يحدث لاي شعب ولن يتكرر ••
 القيت عليها القنبلة الذرية فى هيروشيما ثم القيت قنبلة
 أخرى فى نجازاكي •• وقتل فى كل غارة منها ربع مليون
 يابانى •• وأرادت الولايات المتحدة محو اليابان تماما
 من خريطة آسيا والعالم •• ان تعود بضعة جزر ثانوية
 الاهمية فى المحيط الباسفيكى •

ووجد اليابانيون الطريق للحياة ثانية من الاشلاء
 الذرية وولدت يابان جديدة ديموقراطية وتكنولوجية شقت

لها دورا ومكانا خاصا فى اقتصاد وصناعة العالم وأصبحت القوة العظمى الخامسة •• ومعجزة اقتصادية تكنولوجية فى حياة العصر وتبحث الآن عن دور سياسى ليس توسعيا واستعماريا وعسكريا فى حياة آسيا الثورية الجديدة وفى حياة العالم •

ولم يختلف الامر عندنا •• ولماذا يختلف •
لم تسقط مصر وينتهى تاريخها ودورها •• لم ينسحب الشعب المصرى ولم تنحصر مصر من على خريطة العالم •
وقد صمد الشعب المصرى لكوارث لم تنقطع واستوعبها وتجاوزها خلال سبعة آلاف عام من التاريخ وقد تميز هذه المرة أنه خرج على الفور لمواجهة الكارثة •• وتخطاها يوم وقوعها •• وأبطلها فى أيام •• وكان حدثا فى تاريخ مصر وتاريخ العصر كله •

لم تنهار مصر ولم تعد خمسين سنة الى الوراء •• وخرجت مصر كلها ازاء الكارثة وأثبتت صلابتها واستمرار الثورة والحياة عارمة والآخر مدى !

لم تستسلم مصر وتدخل قوات الاحتلال منتصرة ، وترفع علما أجنبيا على العاصمة وتعلن نهاية السيادة والكرامة الوطنية •• ولم ينته الحكم الوطنى الثورى •
ولم يكسر أحد سيفه ويسلمه للغزاة معلنا يأسه وقيام سلطة أخرى تحكم مصر وتسود فيها •• ولم يقيم العملاء وذبول الاجانب ليتولوا السلطة فى حماية الغزاة وليعلنوا

عودة مصر مستعمرة مباشرة أو غير مباشرة تماما كما كانت منذ خمسين سنة *

لم يقف الشعب جائعا تائها ويندب حظه ويكي ضياع حريته وارادته ولكن خرج بكل فرد فيه .. مفاجئا العالم كله باستعراض قوة لم يحدث مثله .. وليثبت أن الهزيمة عسكرية وعارضة وليست انهيارا قوميا *

كانت ٥ يونيو احدى الهزائم الكبرى * ولكنها ظلت خسارة معركة ولم تصبح ولم يكن ممكنا ان تكون نهاية تاريخ ووجود *

ولم تكن ٥ يونيو صدفة ولم تحدث فجأة أو مباغته .. كانت ذروة مواجهة مباشرة عنيفة ومريرة استمرت عشر سنوات بين الثورة « الناصرية » وبين الامبريالية الامريكية *

وقد امتدت المواجهة الى كل العالم العربى فى المشرق والمغرب وشبه الجزيرة واحتدمت بدرجات متفاوتة العنف على كل الجبهات .. ولم تهدأ يوما أو تتوقف وحفلت بالعثرات والانتصارات ولكن حسابها النهائى كان لصالح الثورة واضحا *

وقد بدأت المواجهة باعلان « نظرية » ايزنهاور سنة ١٩٥٧ ومحورها « ملء الفراغ » الذى خلفه سقوط النفوذ الفرنسى والبريطانى فى المنطقة ولا بد أن تملأه الشيوعية الدولية * وبلغت المواجهة حدها الاقصى يوم اعلان

عبد الناصر في مايو سنة ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة هي زعيمة الثورة المضادة في العالم وان القضاء على الثورة المصرية هدف أساسي من أهدافها ولن تسكت حتى يتحقق ولم يكن قد بقى للولايات المتحدة سوى الهجوم العسكري المباشر .. فقامت به اسرائيل يوم ٥ يونيو . وبدأت المواجهة في المشرق العربي منذ ١٩٥٧ وأدت الى الوحدة مع سوريا والانتفاضة في لبنان ثم الثورة في العراق والى سقوط مشروع ايزنهاور وحلف بغداد معا .. ومهما كان ما حدث بعدئذ .. الا أنه لم تقم نظم أو دول معادية أو مضادة للثورة أو موالية للامبريالية فيها ، وفي المغرب العربي انتصرت الثورة في الجزائر وقامت دولة عربية وثورية جديدة .. وسقطت كل مشاريع الاستقلال في اطار الغرب أو في اطار المغرب الكبير .. المشروع الاستعماري العتيد ولكن في اطار الثورة القومية العربية . وفي شبه الجزيرة .. وقع الحدث الكبير وقامت الجمهورية وتوطدت في اليمن .. وامتدت جذوة الثورة الى امبراطورية البترول التي أحيطت بكل الحصانات والضمانات الواقية .

وفي القضية التي كانت بؤرة الصراع .. فشلت مشاريع الاستيعاب والامتصاص وأكد الشعب الفلسطيني ذاتيته وشخصيته وقامت منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني .

وفي مصر ذاتها .. أتمت بناء السد العالي وافتتح في
مظاهرة عربية كبرى وفي مظاهرة صداقة عربية سوفيتية
رمزا لنهاية الحصار السياسى والاقتصادى والاستراتيجى
الذى فرض عليها لحقب طويلة وأتمت مصر بنجاح خطة
خمسية فى اطار التحول الاشتراكى وشرعت فى خطة
جديدة لارساء قاعدة للصناعة الثقيلة لتكون أساس التحرر
والثمنية العربية المستقلة والمتقدمة فى غير اطار الرأسمالية
العالمية خلال عشر سنوات .. وقفت مصر حائطا سميكا
دون أن يقوم العصر الأمريكى .. نفت ان يكون هناك
فراغ يملأه الاجانب .. واستحققت لهذا غضب « الالهة »
البيض *

وانتهت الولايات المتحدة الى آخر ما تستطيعه وقررت
وقف مبيعات ومعونات القمح الامريكى لمصر لتجوع
وتخضع وكان هذا القمح يفيض عن حاجة الولايات
المتحدة وثمان به على الدول النامية أو تسالومها على
استقلالها وسخرت مصر وهزأت بالتهديد واشترت القمح
من مصدر آخر *

وأعطت الولايات المتحدة الاشارة الخضراء للحرب
وبدأت الحرب التى بدأ الاستعداد لها بين اسرائيل وبينها
منذ نهاية حرب ١٩٥٦ ونفذت الخطة التى قال قائد
الطيران الاسرائيلى بعدئذ أنهم ظلوا عشر سنوات

يأكلونها ويشربونها ويحلمون بها ويفكرون فيها حتى قاموا
بتنفيذها •

كانت الاستراتيجية الامريكية الاسرائيلية تقوم كما
حددها ديان •• حل مشكلة الشرق الاوسط يبدأ بالقضاء
على مصر والقضاء على مصر يبدأ بالقضاء على قوتها
العسكرية والقضاء على القوة العسكرية المصرية يبدأ
بالقضاء على سلاح الطيران •• وتمت الطريقة التي بدت
رائعة باهرة وحسنت كل شيء والى الأبد •

وبعد الحرب مباشرة قال جونسون رئيس الجمهورية
في أمريكا وقال ديان وزير الحرب الاسرائيلي — تماماً
كما قال الدكتور — ان مصر قد انتهت وانهارت وانها
عادت خمسين عاما الى الوراء •• أى عادت مستعمرة
خالصة للغرب يفعل بها ما يشاء !

وأعلن ديان أنه منتظر الى جوار التليفون حتى تدق
مصر لتطلب الاستسلام وسوف يمنحها الرفق والرحمة !
كانت النتائج المؤكدة والمحتومة والتي لاشك فيها
بالنسبة لحرب ٥ يونيو : لا بد وأن تكون نهاية عبد الناصر
وهي تعنى نهاية كل شيء • كان الخصم الأول واللدود وقد
هزم هزيمة حياته في ستة أيام وانتهت القوة العسكرية
التي كان يقيم حكمه وسلطته عليها •• وسوف ينتهي
لاشك •• لم يبق له ما يعتمد عليه أو يبرر استمراره •
وترفض الامبريالية الامريكية القادة التاريخيين

والجماهيريين ولا تدخر جهدا لتصفيتهم والقضاء عليهم *
وتريد دائما سياسيين صغار تملئ عليهم أو مغامرين
عسكريين بلا عقول ينفذون الخطط والانتقابات *

وكان عبد الناصر خصما من نوع خاص امتدت شعبيته
وتغلغلت عبر كل الحدود .. وفي أهم المناطق وكان القضاء
عليه في هزيمة كبرى هو أثمن الجوائز !

وكانت النتيجة الثانية .. هي انهيار مصر ونهايتها ..
ان تعود دولة صغيرة لا تتجاوز حدودها وتستغرق في
مشاكلها .. وبعد حروب محمد علي أصرت أوروبا ان
تعود مصر «ولاية عثمانية» يحكمها ولاية تابعون للسلطان
وأوروبا .. وبعد الثورة العربية جاءت بريطانيا لتجعل
مصر مستعمرة ومنطقة نفوذ بريطانية خالصة *

وكان الشرط الاول والاخير للولايات المتحدة منذ تفتح
الثورة على العالم العربى والعالم الثالث أن تعود الى
داخل حدودها ، ولا تقود القومية العربية أو تتقدم
الثورة الآسيوية الافريقية *

مصر هي مصدر الخطر وأساسه ولا بد من احتوائها
وحصارها داخل حدودها وان لا تتخطاها وتكون قيادة
لثورة عربية أو ركيزة لثورة افروآسيوية *

واذا ما انهارت هيبة مصر ومكانتها واذا ما انطفت
شعلتها فان كل شئ يخمد وينتهى *
والنتيجة الثالثة هي تصفية المشكلة الفلسطينية * لا بد

ان استعراض القوة الاسرائيلية الصاعق قد خلع قلوب العرب جميعا •• وبعث اليأس التام في نفوس الفلسطينيين •• وأدرك الجميع ان السيادة لاسرائيل • وهى سيادة مطلقة ونهائية ولا بد أن يتخلوا عن أوهامهم وان يقبلوا ما تعرض اسرائيل •

واذا ما ذهب عبد الناصر وانهارت مصر وانتهت مشكلة المشاكل •• كما لا بد ان يحدث •• فان العصر الامريكى الاسرائيلى فى المنطقة سوف يبدأ •• ويدوم خمسين أو مائة عام أو أكثر •• تماما كما قدر جونسون وديان • ولم يستمر الوهم أياما ولدهشة كل الاطراف وذهولها كان ما حدث هو العكس تماما •

وحينما أعلن عبد الناصر مسئوليته الكاملة بما حدث وقراره ان يتنحى خرج الشعب كله •• وفى أكبر مظاهرة قومية حدثت فى تاريخ مصر واستبقاه •• ان عبد الناصر هو ابن الشعب وبطله أولا والقوة الشعبية هى التى تحميه وتستبقيه وهى بالوعى والفطرة تدرك حدود الهزيمة •• ومغزاها والمسئول عنها وهى ترفضها وسوف تتجاوزها وبقي عبد الناصر •• وببقائه تبدد الحلم الامريكى •

ولم تخرج الجماهير المصرية وحدها ولكن خرجت الجماهير العربية فى كل عاصمة ومدينة تطلب الى عبد الناصر البقاء تماما كما طلبت الجماهير المصرية •• انه يمثل

ارادة كل العرب وتجسدها ولا بد ان يبقى رمزا لصمود
الامة ولاستمرار الثورة *

وحينما ذهب عبد الناصر بعد الهزيمة بقليل الى الخرطوم
خرج شعب السودان بأكمله ليستقبله وليغمروه بحرارة
ذلك الاستقبال تأكيدا للثقة التي لم تهتز في قدرته وفي
قيادته *

ولم تنته مصر أو تنهار وعلى العكس تماما في أقصر
وقت ممكن أعادت مصر بناء كل ما انكسر من قواتها
المسلحة .. وبعد أسابيع قليلة من الهزيمة استؤنف في
رأس العرش القتال الذي تصاعد الى حرب استنزاف ..
ثم الى ٦ أكتوبر *

وخرجت الجماهير مرة أخرى تطلب التغيير الجذري
داخل الثورة .. وصدر بيان ٣٠ مارس وأعيد البناء
السياسي .. واستمرت التنمية واقامت قاعدة الصناعة
الثقيلة وهي قاعدة القوة الرئيسية وشرع في اقامة
مجمعات الحديد والصلب ثم الالمنيوم وخمس قواعد
للصناعات الثقيلة واستمر العمل لاتمام المرحلة الثانية من
السد العالي .. وصدر قانون الاصلاح الزراعي الثالث
تأكيدا لاستمرار التحول الاجتماعي نحو الاشتراكية وطرح
قانون تأميم تجارة الجملة والمقاولات وأعيد تقييم كل
التجربة *

وأعلن عبد الناصر ان ما اغتصب بالقوة لايرد الا بالقوة

وان القوة متكاملة عسكرية واقتصادية وسياسية ،وبالشعب
والجيش معا •

ولم تنته المشكلة الفلسطينية وعلى العكس تماما
فوجيء العالم كله بالفلسطينيين الذين كان لابد أن ينخلع
قلوبهم وينتهون الى اليأس ، يتحولون الى ثوار مقاتلين
يلحقون باسرائيل هزيمة فريدة في نوعها في معركة الكرامة
وبعد أشهر من النكسة وان يتحول لاجئو الخيام الى
فدائيين يحيطون بالدولة المنتصرة المزهوة ويزعزعون أمنها
وغورها • وبدأت مرحلة وتاريخ جديد للثورة الفلسطينية
تجاوز كل ما تصوره الاطراف جميعا •

ولم ينحصر مد الثورة العربية ولا دور مصر الطليعي
فيها •• وحينما انعقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم
كان عبد الناصر هو الشخصية الحاسمة ولم ينازع أحد
في ذلك وخرج المؤتمر بتأكيد اصرار العرب على المقاومة
ولم تتطفيء الجذوة أو تتضرب الحيوية وتم الانقلاب في
السودان وقام نظام حكم يقف جنبا لجنب مع مصر ••
وكان السودان هو « ظهر » مصر •• وكانت الامبريالية
تريده دائما شوكة في ذلك الظهر •

ثم وقع الحدث الآخر الذي غير كل الموازين وهو ثورة
ليبيا •• وكانت ليبيا قاعدة استراتيجية أساسية منطقة
حزام وحائط عزل وحصار ضد مصر •• بالنسبة
للاستراتيجية الامريكية وكانت حقل بترول خصب •• من

أهم الموارد بالنسبة للمغرب ♦♦ وأحيطت لليبيا لهذا بكل الضمانات من قاعدة هويلس أكبر القواعد خارج الولايات المتحدة الى الاسطول السادس الى كل قوات حلف الاطلنطي ♦

وكانت ثورة مؤيدة لمصر ♦♦ هو آخر مايمكن ان يحدث في تصورهم ♦

واشتد القلق في دوائر الغرب من تلاحق وتعاضم الاحداث واستبدد الخوف من أن تقوم دولة كبرى جديدة في شمال شرق افريقيا من مصر والسودان وليبيا تكون خطرا يهدد المصالح الاساسية للمغرب !

ولهذا كله نسأل الدكتور « أين الانهيار الذى عاد بمصر خمسين عاما الى الوراء ؟ » ♦

وقد رأينا الافاضة بعض الشيء في قصة ه يونيو لان تهمة تزيف التاريخ ليست عبثا ♦ ونرجو ان يقتصد الدكتور في توجيهها بلا حساب ♦

غطاء الاسئلة !

وقد سئل الدكتور السؤال الطبيعى والذي يسأله البسطاء لا العلماء •• لو كانت اشتراكية عبد الناصر ونظامه خرافة ، ولو كان ما حققه هو فاشية رأسمالية ولصالح البورجوازية •• فلماذا يصب الرأسماليون بهذه الحملة المجنونة عليه •• ولماذا يريدون محو كل أثر لعصره ولماذا يريدون تصفية كل الاجراءات الرأسمالية البورجوازية التى تمت لصالحهم • وعند الدكتور لكل سؤال جواب بل ورد غطاء • وهو يبدأ بتشخيص ما يحدث الآن وأنه ليس هجمة لليمين على الاشتراكية ولكن « ان اليمين يستغل أوجاع الشعب المترتبة على التجربة السابقة من أجل كسب أرض جديدة •• وهذا هو ما أردت أن أقوله لو فهموا مقالاتى جيدا » وهو يؤكد فى موضع آخر « ان اليمين يضرب على نعمة أوجاع الناس وشكاواهم بحيث يستطيع ان يكسب ثقتهم وينحرف بهم فى اتجاهه الخاص » •

أى أن أوجاع الشعب المترتبة على تصفية الاقطاع وتوزيع الارض وعلى تصفية الرأسمالية والمترتبة على

تعميم التعليم ومجانيته كل هذه الاوجاع الشديدة الوطأة تجعل في استطاعة اليمين أن يكسب ثقة الشعب وان ينحرف به الى اتجاهه الخاص أى يعود به مرة أخرى الى الرأسمالية والاقطاع .. لن يبحث الشعب عن اشتراكية أفضل ولكن سوف يعود الى أغلاله القديمة !

والفلاحون الذين يستमितون في الدفاع عن الارض التي وزعت عليهم ، والعمال الذين يستبسلون في الدفاع عن القطاع العام .. والمتقفون الذين هبوا للدفاع عن حق التعليم وضد الجامعات الالهية الطبقية .. كل هؤلاء خياليون لا يوجدون لان الدكتور لا يعترف بهم !

ويعود الدكتور في نفس البحث ليقدم اضافة مبتكرة .. ومتناقضة كالعادة .. « ولكنى لم أقبل ان اليمين انتفع من التجربة الناصرية بل اننى أعرف أنه أصيب بأضرار بالغة تفسر هجومه الحالى ولكن المشكلة هي ان الضربة التي وجهت الى اليمين لم تكن لحساب الاشتراكية الحقيقية بل لحساب النظام نفسه .. وهذا هو العنصر المميز والفريد في التجربة الناصرية » .

ولا يفهم أحد — علميا — هذا الرأى الساذج .. ماذا يعنى النظام نفسه ؟

ان أى نظام لا بد أن يمثل مبادئ ومصالح طبقات وفئات وقوى اجتماعية معينة .. وهو اما أن يمثل الطبقات الكبيرة والمالكة واما ان يمثل الطبقات الصغيرة

والمعدمة ولا يمكن أن يقوم نظام لا يمثل أحدا .. ولا يمثل سوى نفسه .. لا يقوم نظام في الفراغ والهواء ولا يعتمد على أحد ومنعزلا عن الاغنياء والفقراء *

ويعرف العلماء والباحثون ودارسو المذاهب والنظم أنواعا كثيرة منها .. هناك نظم اقطاعية يحكم ويملك فيها الاقطاعيون ونظم رأسمالية تقوم لصالح الرأسماليين ونظم فاشية لصالح كبار الاحتكاريين .. وهناك نظم اشتراكية أو شيوعية لصالح الفقراء والمضطهدين ويقوم بالحكم فيها ويملك ويحكم العمال والفلاحون *

ولكن نظما تقوم لنفسها وب herself ولا ترتبط بأى القوى أو الطبقات العليا أو الدنيا .. فهذه ظاهرة جديدة فريدة حقا .. أول من اكتشفها وقال بها هو الدكتور .. وكان لابد أن يهتم باكتشافه الجديد كثيرا وان يقف عنده طويلا وينفع بذلك الناس ويفحم المعترضين *

ان النظام الذى ظل فى السلطة ثمانية عشر عاما ، والذى أقام الدنيا وأقعداها وأثار كل ذلك الجدل وكل ذلك التأييد والمقاومة لم يمثل أحدا سوى نفسه .. وكل التغييرات التى أحدثها فى حياة مصر وفى حياة كل المنطقة وهى أعمق ما حدث فى كل تاريخها .. لم تكن باسم أحد أو لمصلحة أحد سوى النظام نفسه *

لقد طرد الانجليز لحسابه وقاوم الأمريكين لحسابه * والتحم بالعرب وانضم للاسيويين والافريقيين وتصادق

مع الثوريين والاشتراكيين كل هذا لحسابه •
وقد وزع النظام أرض الاقطاعيين على نفسه •• وأمم
مصانع وبنوك الرأسماليين لنفسه وأنشأ المصانع الجديدة.
الثقيلة والخفيفة لرجاله •• وليس لاي أحد آخر •
وفتح النظام المدارس والمعاهد والجامعات لا للجميع
ولكن لنفسه ، وقصر دخولها على رجاله وأبنائهم وبناتهم
فقط •• وقاد النظام كل الحروب العاتبة والمعارك الصاخبة
لا باسم مصر أو العرب أو في سبيل الحرية أو الاشتراكية
ولكن لحسابه وحفاظا على نفسه !
ولا يقول الدكتور ماهي هذه « النفس » التي يمثلها
النظام ويلومنا أشد اللوم لاننا لا نفهم •
والعالم المفكر •• المتميز •• مثل الدكتور •• اذا ما عثر
على نظام لم يسبق مثل هذا فلا بد وان يقتله بحثا
وشرها ويضيف به الى العلم والفكر السياسي اضافة
مبتكرة •• ولعله يسمح لنا أن نفعل •
اذا كان الدكتور يعنى بهذا ان النظام هو عبد الناصر
وأنه قام لصالحه وحده فلا بد ان عبد الناصر قد امتلك كل
الارض وأنشأ لنفسه كل المصانع والبنوك وافتتح لنفسه
كل المدارس ، وكان لابد أن ينتهى النظام بعده مباشرة •
ان تعود الارض الى مالكيها وان تغلق المصانع والمدارس
أو تؤول الى ورثته الشخصيين •
واذا كان الدكتور يعنى ان النظام قد أقام طبقة جديدة

احتكرت السلطة والثروة لنفسها ، فأن الطبقة الجديدة بالمعنى الذى يقصده الدكتور لابد ان تكون فى جوهرها بورجوازية رأسمالية وفى اطار الصراع الطبقي الذى يحدث فى مصر والذى يزداد حدة وفى اطار المشكلة الاجتماعية التى تهدد الكيان الطبقي .. لابد وان تتضمن كل القوى البورجوازية والرأسمالية لهذه الطبقة الجديدة .. الفتية القوية التى تقدم لها أئمن ما تحتاجه وهو الحماية من الثورة . وبذلك يصبح النظام ممثلاً لحلف هذه القوى والطبقات .. ولابد أن تباركه وتؤيده الرأسمالية والامبريالية العالمية التى لا تطمح الى نظام أفضل فى مصر .

واذا كان الدكتور يعنى ان ماوجه الى اليمين من ضربات لم تكن لحساب الاشتراكية الحقيقية فهو يعنى ان الارض التى أخذت من الاقطاعيين لم توزع على الفلاحين .. ولم يستفد منها فلاح ولكن ذهبت الى النظام وان المصانع التى أنشئت والتى أمت لم تكن للعمال والفنيين والمديرين وكل العاملين بها .. ولكن سلبها النظام لنفسه .. وان الثروات .. لم توجه الى التنمية الشاملة ولتحقيق الكفاية والعدالة ولكن الى جيوب النظام نفسه .. وحينئذ يكون على الدكتور أن يشرح لنا ما هى الاشتراكية الحقيقية .. ويبقى عليه أيضا أن يستقصى بحرصه على الحقيقة أين ذهبت الارض وما مصير المصانع .. وما الذى حدث

للمدارس •• وان يثبت لنا بالوقائع والارقام •• كيف.
صادر هذا الشخص الاعتبارى « الوهمى » المسمى
بالنظام كل حقوق وثروات البلاد !

وقد شخص النظام بأنه اصلاحى ولم يقيم سوى ببعض.
اصلاحات قد تكون كبيرة أو صغيرة ولكنها تظل فى اطار
النظام « الرأسمالى » ولا تغير من جوهر الاشياء وليس
اشتراكية بأى حال •

ولا يفسر أصحاب هذا رأى كيف يتحقق اصلاح
الرأسمالية بتجريد الرأسماليين من « رأس المال » وبتأميم
أهم مراكز ومقومات الثروة لحساب الشعب •• وبالغاء
الاسس التى يقوم عليها النظام الرأسمالى •• الملكية
الفردية الكبيرة والسوق الحر •• ألخ •

ولا يفسر أصحاب هذا رأى كيف تخلق الرأسماليون
عن الثورة •• حتى قبل اعلان القوانين الاشتراكية ••
وبسبب تدخل الدولة على نطاق كبير فى الاقتصاد وليس
تأميمه وكانوا يريدون اقتصادا حرا حرية تامة •

ولم يفسروا أيضا سر الحملة التى بدأت منذ ١٩٦١
والتي تبلغ ذروتها الان •• كيف نشن الرأسمالية هذه
الحملة المحمومة على نظام لم يكن يريد سوى اصلاح
النظام الرأسمالى لكى يبقى ويعيش ! وشخص البعض
الآخر النظام بأنه « رأسمالية الدولة » قد تكون لها بعض
الايجابيات فى التنمية وفى تلك المرحلة ولكنها ليست

الاشتراكية *

وفي رأسمالية الدولة تقوم الدولة بمهام الرأسماليين ونيابة عنهم .. وهى تتحمل المخامرة والمخاطرة وتبعات الانشاء لتقيم القاعدة التى يبنى عليها الاقتصاد والمشاريع الكبرى التى يعتمد عليها ثم تبيعها أو تسلمها ناضجة جاهزة للرأسماليين وتوفر كل المقومات لتقوم طبقة رأسمالية جديدة وقادرة تملك الاقتصاد وتديره .. حرة ! ولا يفسر أصحاب هذا الرأى أيضا لماذا تؤمم المشاريع الرأسمالية القائمة فى ظل رأسمالية دولة ولماذا بقيت كل المشاريع الكبرى التى قامت ونجحت فى ملكية الدولة ولا تنتقل الى الرأسماليين وكيف تكون الولاية للقطاع العام ويحدد اطار محدود للقطاع الخاص فى ظل رأسمالية دولة .. وكيف يناصر الرأسماليون أشد العداء لنظام كان يريد أن يؤمن رؤوس أموالهم ويغنيهم عن احتمالات الفشل والخسارة وان يهيئ لهم مقومات الازدهار *

والرأسمالية نظام له أسسه ومقوماته المعروفة وقد تختلف تطبيقات الرأسمالية فى أوروبا عنها فى أمريكا الشمالية أو فى استراليا ولكنها تظل رأسمالية تتفق فى الجوهر وتختلف فى الشكل *

وللاشترائية أيضا نفس الخصائص وقد يختلف فى التفسير أو التطبيق ولكن طالما اتفقت فى الاسس العامة

فهي اشتراكية وليست رأسمالية •

وإذا ما أمتت دولة ٨٥٪ من الاقتصاد الرأسمالى من المال والصناعة والتجارة وحولت ملكيتها الى ملكية عامة للشعب •• وإذا حددت دولة الملكية بخمسين فدان للفرد ومائة للأسرة وإذا اختارت التخطيط وليس اقتصاديات السوق أساسا للتنمية فمن الصعب أن لا تكون اشتراكية وقد قال البعض ان النظام هو « نظام لرأسمالى» ليس رأسماليا ولكنه أيضا ليس اشتراكيا وهو قد يصل الى الاشتراكية وقد لا يصل اليها وفق اضطراد مسيرته ووفق موازين وصراع القوى داخله •

وهذا تعريف جديد وماركسى للنظم التى اختارت الاشتراكية فى العالم الثالث اختيارا حقيقيا ولكن على أساس غير الماركسية اللينينية وبقيادة حلف القوى الوطنية والتقدمية وليس الحزب الشيوعى •• ومع أن التعريف قد استمد من التجربة المصرية واستلهمها وكان تحولا فى الموقف الماركسى وتغيرا ايجابيا الا أن مصر تظلم كثيرا اذا ما اعتبرت احدى دول العالم الثالث كأى دولة أخرى والتجربة المصرية تظلم اذا ما اعتبرت « لا رأسمالية » فقط •• وقد كان الاختيار حاسما للاشتراكية « العلمية » وكان مستمدا من التجربة والتفكير ومن الواقع المصرى ومن تجارب وروح العصر معا وكانت التحولات التى تمت أعمق التحولات فى ملكية وسائل الانتاج وفي علاقات الانتاج

فى أى بلد خارج المعسكر الاشتراكى •• وكانت مجرد البداية •• وليست مجرد لا رأسمالية ولكن تحولا جوهريا الى الاشتراكية •

وقد انتقدت التجربة « الناصرية » وكانت مثار أشد الجدل وانتقد القصور الفكرى والنظرى للتجربة أو أخطاء وسوءات التطبيق ولكن كان ذلك فى اطار الاعتراف باشتراكيتها وكان هذا التشخيص أو النقد على اختلافه يصلح ان يكون محل نقاش •• بمعايير ومقاييس العلم والعقل •• ولكن تعريف النظام بالتجربة الناصرية وبأنها كانت نظاما فريدا متميزا ليس رأسمالية وليس اشتراكية وليس سوى النظام نفسه •• فهو يتجاوز امكانية الفهم والجدل !

وقد انتقل الدكتور من القول بأن النظام لم يصب بأوجاعه سوى الشعب وان اليمين يستغل هذه الاوجاع ليكسب بها ثقة الشعب بالفعل الى القول بأن اليمين كان يحرق البخور للتجربة المصرية الاشتراكية ثم الى القول بأن اليمين قد أصيب بأضرار بالغة من التجربة ولكن كانت لحساب النظام نفسه • ولانعرف أين الحقيقة حتى يوضح الدكتور !

الامبريالية

وقد سئل الدكتور السؤال الآخر والمكمل .. اذا كان عبد الناصر قد أقام ذلك النظام الذى لم يكن وطنيا ولا اشتراكيا حقيقيا فلماذا حاربته الامبريالية بهذا العنف ولا شىء يسعد الامبريالية مثل قيام هذه النظم المتداعية فى العالم الثالث ويدور جهد ونشاط أقلام المخابرات الامبريالية حول تدبير الانقلابات التى تؤدى الى هذه النظم التى تكون أداة طيعة فى يدها ... واذا كان النظام فى مصر قد جاءها بلا عناء أو تدبير .. فلماذا لم تتبناه فيتحمس لها .. بدلا من اعلان حرب ضارية عليه .

ولا يعدم الدكتور اجابة أبدا وهو يقول « واما الامبريالية العالمية فان هجومها على التجربة الناصرية يرجع فى رأى الى اعتبارات التوازن الدقيق بينها وبين المعسكر الاشتراكي العالمى ، فقد توسع الوجود السوفيتى فى أواخر العهد الناصرى الى الحد الذى قررت معه الامبريالية ضرورة توجيه ضربة اليه وكان هذا الوجود بالنسبة الى التجربة الناصرية اجراء تكتيكيا أما بالنسبة للاتحاد السوفيتى

والولايات المتحدة فكان اجراء استراتيجيا أى أن ما كانت التجربة الناصرية تراه سياسة مرحلية تخدم اغراضا مؤقتة كان فى نظر العملاقين الدوليين سياسة بعيدة المدى تؤثر على التوازن الدقيق الذى يحرص عليه كل طرف ازاء الآخر .. » .

وهكذا لم تحارب الامبريالية عبد الناصر لانه هزم الاستعمار القديم ولانه وقف حائلا دون الاستعمار الجديد ولم تحاربه الامبريالية لانه رفض الاحلاف ونظريات ملء الفراغ .. ولم تحارب الامبريالية عبد الناصر لانه أراد تحرير العرب وأراد توحيد العرب لكى تقوم قوة عربية كبرى مستقلة وعصرية .. لا .. لم تحارب الامبريالية عبد الناصر لشيء من هذا .. ولكن حاربتة لان الوجود السوفييتى توسع فى مصر فى نهاية عهده وكان توسعا أدخل بالميزان الدقيق بين الدولتين الاعظم .. وهو الميزان الذى كان يجب أن يحرص أشد الحرص فى المحافظة عليه .

ولقد كان خطأ أن تقيم مصر هذا القدر من العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وان تحصل على ذلك القدر من الاسلحة وذلك القدر من المصانع لان مصر بهذا أثارت الامبريالية العالمية وهددت أركان التوازن الدولى .. وهو توازن يرى الدكتور أنه مشروع ومن حق الامبريالية وواجبها أن تدافع عنه .. ضد مصر .

ولقد كان تسليح مصر وتصنيع مصر لترد العدوان
وتتحرر من التخلف اجراءات تكتيكية •• أما التوازن بين
روسيا وأمريكا فهو قضية جوهرية واجراء استراتيجى ••
ولا بد أن تحرص عليه مصر أكثر مما تحرص عليه روسيا
التي بادلتنا العلاقات •

ويصل الدكتور الى حد القول « كانت المساعدات
الامريكية لاسرائيل قبل حرب يونيو واثناءها وبعدها
موجهة فى المقام الاول ضد النفوذ السوفييتى لا ضد
التجربة الناصرية من حيث هى نظام داخلى » •
وبهذا يعترف الدكتور ويقر بأن العالم العربى ومصر
هما منطقة نفوذ دولية ولا بد من هذا ولا غضاضة فيه
ولكن يجب أن يكون النفوذ الاجنبى موزعا بميزان دقيق
بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى حتى لا يطغى
وجود أحدهما على الآخر ومن الافضل أن يكون النفوذ
السوفييتى فى أضيق الحدود حتى تطمئن الامبريالية
ولا تستغفر •

ويعترف الدكتور بأن للامبريالية الحق والشرعية فى
حماية مصالحها المشروعة وان تصحح ميزان القوى الدولى
إذا اختلف •

ويعترف الدكتور أيضا بأن للولايات المتحدة الحق فى
مساعدة اسرائيل قبل حرب يونيو واثناءها وبعدها لان

مصر هي التي دفعت الولايات المتحدة لهذه المساعدة بسبب
توسع الوجود السوفييتي الذي سمحت به مصر •
وينتهي هذا المنطق « الفريد » بأنه ليس لمصر الحق في
سياسة خارجية حرة وليس لها حق الاختيار بين من تصادق
ومن تعادى بل ان واجبها الاول والاخير هو أن تحرس
الميزان بين الدولتين الاعظم •
والدكتور وطنى ويسارى •• وهو كما يقول يسارى غير
محترف أى مستقل الفكر والرأى لا يتقيّد الا بتفكيره
وضميره •

والوطنى اليميني واليسارى على السواء يرى أن
الامبريالية « العالمية » الجديدة تريد أن تترك
الامبراطوريات القديمة وسياستها الاستعمارية ثابتة
تتجدد ولا تتغير وهي تريد أن تسيطر على العالم خاصة
العالم العربى لاعتبارات استراتيجية واقتصادية • ومقاومة
الامبريالية واجب وطنى يتقدم كل الاعتبارات وكل تاريخنا
ومبرر حياتنا ووجودنا هو تحقيق الحرية والسيادة بمقاومة
الاستعمار •• ولا يمكن أن يقوم أو يصح توازن أو توافق
دولى على حساب الحقوق الاساسية لشعب ما ولشعب
مصر خاصة •

والشعب الذى يخضع استقلاله وسيادته للموازنات
والمساومات الدولية ليس أهلا للحرية ولا يمكن أن تلتزم
مصر بأى ميزان أو اتفاق يعقد بين دول أعظم أو أصغر

لا تكون طرفا فيه أو توافق عليه *

وهذه بديهيات **

والوطني اليسارى مثل الدكتور يرى أن الاتحاد السوفيتى ليس فقط دولة أعظم مثل الدولة الاخرى ولكنه دولة اشتراكية تنصدر معسكر اشتراكى ** لا ينكر عليه الدكتور صيغة الاشتراكية ** ولهذا فهو ليس استعماريا وليس رأسماليا ** ومن حق مصر التى تقاوم الاستعمار والتى ترفض الرأسمالية أن تتصادق وتتحالف مع هذا المعسكر والى أى مدى تقرره *

ولا يمكن أن تسمى هذه العلاقات وجودا لان الوجود يفرض فرضا ولاهداف الدولة التى فرضته وبحيث لا تستطيع الدولة الاخرى ان تدفعه وتتححر منه *

ولم تكن العلاقة المصرية الروسية وجودا ** مفروضا * وقد بدأت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بعد غارة اسرائيل على غزه فى فبراير سنة ١٩٥٥ وهى غارة قال بن جريون انها « لانسقاط هيبة النظام الجديد فى مصر » وكان لابد لمصر أن تحصل على السلاح الذى تحافظ به على هيبة النظام * ودفعت الوطنية المصرية الى الطريق الوحيد للسلاح ** بعد رفض الغرب أن يبيعه وتوثقت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بعد بناء السد العالى وقد رفض الغرب بناءه وشن حربا كاملة على مصر بسببه *

وكان السد العالى أساس التنمية والتصنيع وأن تتحرر مصر
أو لا تتحرر •

ولم يكن الاتحاد السوفيتى الذى يقدم السلاح الى
شعب يستमित فى الدفاع عن حريته ليتصور انه يستطيع
أن يفرض وجودا علينا •

ولم يكن الاتحاد السوفيتى الذى يبيع لمصر كل مقومات
التنمية والتصنيع ليحقق استقلالها الاقتصادى ليتصور
أنه يستطيع استغلال مصر •

ولقد كانت العلاقات وثيقة والمساعدات ضخمة بقدر
وطأة الخطر الاستعمارى وعمق التخلف •• ولكن ظلت
العلاقات دائما متكافئة تكافؤا تاما ولم تقم العلاقات بين
بين مصر والاتحاد السوفيتى على أسس « تكتيكية » أو
انتهازية وكان لها أساسها العملى « الجي—وبوليتيكى »
وأساسها النظرى « الايديولوجى » •

كان الشرق الاوسط هو الحدود المباشرة للاتحاد
السوفيتى وقد بدأت منه الحرب الباردة لحصاره
وتصفيته وكان الامن القومى للدولة السوفيتية يتطلب أن
لا يسود الغرب فى الشرق الاوسط وأن يكسر الاتحاد
السوفيتى الحصار الذى فرض حوله •• ولم يكن للاتحاد
السوفيتى فى الشرق الاوسط من يمكن أن يصادقهم
ويحالفهم سوى قوى التحرر والثورة العربية بزعامة وقيادة
مصر •

كانت تركيا والبورجوازية التركية قد اختارت الغرب بل وذابت واندمجت فيه وكانت ايران والاقطاعية الايرانية قد بيعت بعدها وقررت باكستان أن تكون « الحليف رقم ١ » والذي تبدأ وتنتهى اليها أحلاف الغرب ، وكانت القوى التقليدية العربية معهم جميعا فى حلف بغداد ولهذا فان قوى الثورة العربية والتي تريد تحرير المنطقة من الغرب هى أفضل حلف يعتمد عليه فى تحقيق أمن الدولة السوفيتية وبطنها « الناعم » فى الشرق الاوسط بل هى الحليف الوحيد •

وكان الاساس « الايديولوجى » يقيس الاهمية • • والالتزام •

والاتحاد السوفيتى دولة ماركسية لينينية وترى الثورة فى العالم ذات ثلاثة أجنحة • • الثورة العمالية فى الغرب ضد الرأسمالية والثورة الوطنية فى الشرق ضد الاستعمار والاشتراكية القائمة فعلا فى المعسكر الاشتراكى وعلى هذه القوى الثلاث أن تتحالف وتتساند ضد العدو المشترك وهو الرأسمالية والاستعمار •

وقد تختلف الثورات فى تفكيرها أو تفسيرها أو مسارها ولكن يجمعها الهدف المشترك ضد الاستعمار والاستغلال ولا بد أن تتساند والى أقصى مدى • والوقوف مع الثورة العربية والثورة المصرية مركز الطليعة هو التزام عقائدى على الحلف والمعسكر الاشتراكى • وكلما تعاظم كفاح

مصر والعرب ضد الاستعمار والاستغلال كلما تعمق
الالتزام *

وتعتمد الدول المكافحة أساسا على قواها الذاتية ولكن
أيضا على مواقف وتأييد القوى الدولية ولا بد أن ترى
قضاياها في إطار العالم والعصر وان تتميز وتفرق تماما بين
مختلف القوى وعليها أن تدرك متناقضات ومتغيرات العصر
وتستخدمها جميعا في صالحها ولا تكون أسيرتها أو
ضحيته *

وقد استخدمت مصر الحديثة لدى قيامها في عصر محمد
على التناقض والصراع الفرنسي البريطاني ، وكان الصراع
الاول في ذلك العصر بل وحاولت مصر يومئذ اقامة علاقات
مع روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية المستعمرة
وجاءت أول بعثة « روسية » الى مصر في ذلك العصر ا
واعتمدت الحركة الوطنية المصرية أيضا على التناقض
البريطاني الفرنسي الذي ظل قائما حتى عقدت الدولتان
الاتفاق الودي في بداية هذا القرن *

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة في
روسيا كان لابد وأن تفيد كل الدول المكافحة من هذا
التناقض الجوهري والتغير في موازين القوى الكبرى وقيام
دولة عظمى معادية للاستعمار والاستغلال وهذا ما حدث
بالفعل ** لثورات الصين وتركيا وإيران *

وبعد أن أصبحت دولة أعظم وتتصدر معسكر احدى
القوى الاساسية فى العالم لم يكن ممكنا أن لا تقيّد
الدول التى تحارب معاركها الحاسمة من أجل الحرية
أقصى الفائدة منها •

وقد استخدمت الثورة المصرية التناقض فى صفوف
الدول الامبريالية بين الاستعمار القديم والاستعمار
الجديد الامريكى كما استخدمت التناقض الاخر الاساسى
بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبين المعسكر
الاشتراكى والمعسكر الاستعمارى عامة وبإدراك دقيق واع
لاختلاف نوع التناقض •• ولم تكن هناك سياسة خارجية
أفضل أو بديلة سوى الوقوع فى التبعية •• على أى
الناحيّتين !

ولهذا فقد كان هناك الاساس العملى « الجيوبولتيكى »
والمحتوم للعلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتى •

وكان هناك الاساس النظرى والايدىولوجى للعلاقة ••
وقد يكون لكل منهما مبادئه ونظمه المختلفة ، ولكن هناك
اتفاقا مشتركا على أهم الاهداف وهى رفض الاستعمار
والاستغلال وتحقيق الحرية والاشتراكية •• وبالنسبة
لمصر يتحقق هذا عن طريق مصرى عربى علمى وبالنسبة
للاتحاد السوفييتى عن طريق الماركسية اللينينية ••
هناك اختلاف ولكن ليس هناك تناقض أو عدا •

ولم تكن العلاقة المصرية السوفييتية وجودا وتوسعا ،
وتسللا سوفييتيا الى مصر •
ما يقوله الدكتور وهو نفس ما يقوله اليمين المتطرف
والمتخلف في مصر •• وقد كان أول من خرج بهذه الاراء
أحد فقهاءهم « وحيد رافت » في منبر من منابرهم « مجلة
السياسة الدولية » •

ووفقا لفهم الدكتور يصبح واجبا علينا أن نشكر دائما
ونعترف بجميل الولايات المتحدة في حرب سنة ١٩٦٧ ،
الأنها أرادت أن تخلصنا من بلاء مزدوج هو الوجود
السوفييتي والنظام الناصري ، ونشكر اسرائيل خاصة
أنها قامت بالعمل !

وهذه رؤية « يسارية » فريدة للتاريخ والاحداث !

اشتراكية الدكتور

ويعود الدكتور ليقدم كل هذا التناقض باسم الاشتراكية
• ودفاعا عنها وهذه اشتراكية خاصة غربية لم يعرفها •
ان اشتراكيته هي النقيض لكل ما حدث في مصر • •
وبالنسبة له كان للمساعدات الامريكية المشروعة التي قدمت
لإسرائيل لتوجه الى التوسع السوفيتي في مصر وليس الى
التجربة الناصرية كان لها فضل آخر • • فقد « أدت الى
هزيمة ٥ يونيو التي أدت الى كشف البناء الهش للاشتراكية
المطبقة محليا » •

وهذه الاشتراكية الهشة « استكملت معظم المقومات
الشكلية لاي تجربة اشتراكية مثل تصفية الاقطاع ورأس
المال المستغل والتمصير والتأميم واقامة قطاع عام قوى
واسع النطاق • كل ما تتطلبه الاشتراكية كان موجودا » •

ولكنها مع ذلك ظلت هشة لان كل شيء كان موجودا
« فيما عدا شيئا واحدا هو لب الاشتراكية وقلبهـا
وجوهرها هذا الجوهر هو الذى افتقده الشعب المصرى
وهو الذى لم تفتقده شعوب أخرى » •

ويخرج الدكتور بتعريف لهذا اللب والقلب والجوهر بأنه

» النهوض بالانسان واتاحة الفرصة أمامه لكى يمارس قدراته وملكاته الابداعية دون قهر أو ظلم « •

وهذا قد يصلح شعارا فى مظاهره وقد يكون دعوة صالحة لنصرة الحق ولكنه ليس التعريف النموذجي للاشتراكية المثلى •• والذى تقاس به أصالة وصلابة الاشتراكية •

والاشتراكية الهشة لاتحرص على استكمال كل الشكليات، وهى « لا تصيب اليمين بأضرار بالغة » •• والاشتراكية الهشة تسقط عادة بعد وفاة مؤسسها ولا تجد من يدافع عنها •• وهى لا تسحق روح الانسان ، ولاتحتاج الى كل هذا العناء ليهاجمها الدكتور وكان يكفى أن يسجل وقائع تأكلها وذبولها •

والاشتراكية هى حلم الانسان وطريق خلاصه ولكنها أيضا ليست جنة غناء ويصل اليها الناس فجأة وبعد طول العناء أو تفتح أبوابها لتسعهم جميعا وتحقق لكل فرد أحلامه ويوجد فيها النعيم •• والاشتراكية حرب مستمرة ومستميتة بين فلسفتين وعالمين ونظامين ولا يغير من شئ أن تقوم الاشتراكية سلميا أو أن تقوم بحرب طبقية وهى تستمر قبل الاشتراكية وبعدها ولزمن طويل ، لعصر كامل من التاريخ !

وفى الاتحاد السوفياتى أول بلد قامت فيه الاشتراكية لا ينقطع الكفاح نظريا وتطبيقيا ضد بقايا الرأسمالية

ورواسبها وذلك بعد ستين عاما من قيام النظام •
وفي الصين قاموا بثورة أخرى هي « الثورة الثقافية
العظمى » بعد سبعة عشر عاما من الثورة وبعد أربعين عاما
من حرب التحرير وذلك لحماية النظام من « عودة
الرأسمالية »

وفي يوغوسلافيا أو كوبا •• أو بولنده •• أو في بلاد
العالم الثالث التي اختارت الاشتراكية يظل التحدي قائما
وحادا لزمان طويل جدا •

ويصل الصراع الى أقصاه في المواقع الحاسمة حضاريا
وسياسيا على خريطة العالم وحيث يؤثر الاختيار خارج
حدود الدولة وعلى حياة العصر وموازينه عامة •• وفي
المقدمة مصر •

وليس هناك ما يدحض مزاعم الدكتور وينفيها عن
الاشتراكية الهشة سوى صمود الاشتراكية والاشتراكيين
في مصر •• وتعثر كل المحاولات لتصفيتها ولاقتلاعها ••
وهذه المرارة في نفوس اليمين لا تقوم بسبب اشتراكية
هشة •• ولا تقوم الاشتراكية أو تأتي من الفراغ ولكن
« تولد الاشتراكية في رحم المجتمع القديم » وتحمل دائما
كل بصماته •

والاشتراكية في روسيا تحمل كل فضائل ونقائص الشعوب
في روسيا والاشتراكية في الصين تحمل كل قوة وضعف

الشعب الصينى والاشتراكية فى كوبا أو كمبوديا لا تختلف
ولم تكن الاشتراكية فى مصر لتخرج بكل حسنات الشعب
المصرى ومجردة عن كل ثغراته .. لابد أن تحملها أيضا •
ويختلف طريق كل بلد الى الاشتراكية .. وليس هناك
خط سير محدد معروف يمكن أن تقطعه الشعوب .. ولهذا
لابد أن تحمل التجربة آثار كل عثرات وانحناءات الطريق •
وقد قال لينين ذات يوم « ان الذين يحلمون بالاشتراكية
طاهرة نقية سوف يموتون قبل أن يروها » •
والذين يريدون اشتراكية نموذجية طاهرة نقية فى مصر
وحدها ينقصهم العلم بالواقع أو بالاشتراكية ولا حق لهم
فى الكلام عنها •

لا تناقض

ان الدكتور مع هذا كله يرفض تماما أن يؤخذ عليه تناقضه وهو في النهاية يلقي برهانه .. ومن بين أربعين مقالا كتبها في الفكر والاشتراكية اختار مقالا واحدا « ليتضمن تكذيبا قاطعا لما يدعوه عنى من تناقض » .. وبخيلاء بالغة قال « هكذا كنت أكتب أثناء حياة جمال عبد الناصر فكيف كان نقادى يكتبون ؟ .. وهل يعاب على أن أكتب في العدد المخصص لثناء جمال عبد الناصر مقالا أخف لهجة من ذلك الذى كان مفروضا أن يظهر وهو حى ؟ » ومقال المفكر الكبير ذى الاربعين مقالا والذى يفهم كل نقاده هو « عن بعض سلبيات اشتراكية العالم الثالث ولم يكن القارىء عندئذ يجد أى صعوبة في فهم نوع الاشتراكية التى أعنيها » ..

وقد كانت أخطر سلبيات هذه الاشتراكية عند الدكتور هى « سكوتها عن التفكير الغيبي أو تعايشها معه .. وهذا انتهازية ونفاق رخيص من جانب السلطة الحاكمة فضلا عن أنه يساعد على ابقاء الجماهير في حالة تخلف معنوى لا يرجى منه أى نهوض للمجتمع بل ان مثل هذه الاشتراكية

لابد أن تكون جوفاء مبتورة »

وأضاف أيضا وبنفس الجراءة « ولقد كان من الممكن أن تخف اضرار التفكير الغيبي لو كانت تلك الاشتراكية تقدم للناس مكاسب واضحة اما اذا كانت الاشتراكية مترددة. خائرة واذا كانت مكاسبها أمرا مشكوكا فيه على الدوام فعندئذ تستطيع الخرافة أن تطل برأسها في شماتة » •

وتحدث الدكتور عن عيب آخر لهذا النوع من الاشتراكية ينبع من التفكير الغيبي ومن سيادة الخرافة هو « أنها مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورة شعبية بالمعنى الصحيح ولهذا نجد في هذه الاشتراكية أن الانحراف في الطبقات الحاكمة أمر مألوف حيث يبدو اغرار السلطة والافتقار الى التقاليد الثورية الاصلية عاملا مشجعا على تكوين طبقة جديدة •• ربما استخدمت الاشتراكية ذاتها أدقا لدم مركزها وصرف أنظار الجماهير عن انحرافات » •

ولنقف قليلا أمام هذا الموقف التاريخي •• لقد كانت هناك حرية اذن ولم يكن الدكتور يفتقر الى الشجاعة ولكن الكاتب والمفكر في مثل نزاهة وشجاعة الدكتور لابد وأن يصف الأشياء باسمائها ولا يمكن أن ننقد اشتراكية العالم الثالث •• بحيث ينطبق النقد على غانا أو اندونيسيا أو الجزائر أو الهند والمفكر المسئول المنتزم الذي لا يخشى السلطة يكتب عن سلبيات الاشتراكية في الجمهورية العربية

المتحدة اذا ما أراد أن يبقى مقالته للتاريخ وأن يفخر
به ويباهى الناس •

ولا يبدأ الهجوم على الاشتراكية في « العالم الثالث »
ولا ينصب على « التفكير الغيبي » ويعرف الدكتور
ويدرك ولاشك حساسية الامر وتعقيده •

وقد كان حريا بالدكتور الذي لا يخشى في الحق لومة لائم
أن يسجل التفكير الغيبي باسمه وان يهاجمه باسمه
الصحيح هذا الهجوم الساحق •

ويعرف الدكتور جيدا أن اليمين لا يجد حجة يشرعها ضد
الاشتراكية خاصة الاشتراكية العلمية أكثر من الغيبيات •
ويعتقد أنه بهذا يصل الى الجماهير • ولا تبدأ الاشتراكية
ابدا ولا يمكن أن تعنى استفزاز المعتقدات والمشاعر
العميقة في نفوس الجماهير وتخلق هوة أو تناقضا روحيا
أو فكريا في نفوس الناس •

وتفرق الاشتراكية الصحيحة بين الخرافة والشعوذة
وبين الاديان والقيم الروحية الاصلية •• ولا ترى
الاشتراكية تناقضا في أن يحقق الانسان السعادة في هذا
العالم وفي العالم الآخر وهي لا ترى تناقضا في أن يبنى
المؤمنون وغير المؤمنين الاشتراكية معا •

وقد تغيرت مفاهيم اشتراكية وماركسية كثيرة حول
قضايا الدين والغيبيات وذلك بعد ظهور دول العالم الثالث
مهده الحضارات والديانات الاساسية والعريقة •

وقد كان دور الدين وغاندى فى تحرير الهند ودور الاسلام فى تحرير الجزائر واندونيسيا ومصر ودور القسب الثوريين بل والماركسيين فى قيادة انتفاضات هامة فى أمريكا اللاتينية مما أدى الى حوار ايجابى متصل بين الاشتراكية العلمية وبين الغيبيات •• وقد تغير الموقف الكلاسيكى والترمى الذى لازال الدكتور واقفا عنده لا يدري ما تجدد •

وقد وصلت الثورة المصرية الى صيغة مصرية خلاقة بين الدين والاشتراكية ورأت فى الدين ثورة انسانية وفى الاشتراكية تحقيقا لذات وروحية الانسان وسدت أى هوة يمكن أن تقوم •• وكان هذا اضافة خلاقة للدين والاشتراكية العلمية •

ولا يمكن فى الشرق العربى الذى كان مهد الديانات العظمى فى حياة الانسانية ، اليهودية والمسيحية والاسلام ، والذى يعيش بالحضارات وطرق الحياة التى صاغت بها هذه الديانات حياة الانسان •• لايمكن أن تبدأ الاشتراكية فيه بهجوم جارف كاسح على « الغيبيات » •

ولا يمكن لمصر منارة العالم الاسلامى ومقر أقدم جامعاته وأعرقها والتى حفظت تراثه والتى خرجت منها أهم حركات الاصلاح الدينى •• لا يمكن أن تبدأ الاشتراكية باعلان الحرب على الغيبيات وبذلك تؤكد حجج

الرجعية وتنتهى الى الانفصام بين الاشتراكية والناس •
 وحتى الماركسيين التقليديين لا يدعون الى مهاجمة
 الغيبيات لدى الجماهير وأن يكون هذا هو أول المهام بل
 يدعون الجماهير الى العلم والتعلم ويفسرون الحياة والكون
 تفسيراً علمياً حتى تقنع الجماهير وحدها •• اذا شاءت •
 وهناك جريمة من جرائم القانون العام في كل البلاد
 الشيوعية وهى اهانة أو استفزاز مشاعر المؤمنين أو
 العدوان على دين ما أو أشياعه •

والاشتراكية لا تقوم أساساً لمكافحة التفكير الغيبي أو
 القضاء عليه ولكن تقوم لبناء مجتمع جديد ويظل الايمان
 أو عدمه قضية كل فرد على حدة • وفى كل البلاد التى
 اختارت « الماركسية اللينينية » تعيش الملايين المؤمنة
 وتمارس عبادتها فى الكنائس والمساجد والمعابد وتتعايش
 الماركسية والدين ولم يقل أحد أن الاشتراكية جوفاء
 مبتورة مثلاً فى أوزبكستان المسلمة أو فى بولنده الكاثوليكية
 أو فى فيتنام البوذية •

ومهما يجعل الدكتور من الحرب على التفكير الغيبي
 نهاية مطاف الاشتراكية الا أنه يقدم وسيلة لتخفيف
 اضراره اذا لم يمكن الغاؤه تماماً •
 » من الممكن أن تخف اضرار التفكير الغيبي لو كانت
 الاشتراكية تقدم للناس مكاسب واضحة ، أما اذا كانت

الاشتراكية مترددة خاطرة واذا كانت أمرا مشكوكا فيه على الدوام فعندئذ تستطيع الخرافة أن تطل برأسها • وهذا في أفضل الاحوال نصائح مقدمة للاشـتراكيين لمكافحة الخرافة •

وهي شروط يضعها لكى يمكن أن تخف حدة الغيبيات اذا لم يمكن القضاء عليها نهائيا • وهدف الاشتراكية في العالم الثالث يبدأ بالقضاء على الفقر والبطالة والامية التى تولد الخرافة والاشتراكية هي تصفية النظام الذى يولد كل هذا •

ونقد الاشتراكية يكون بنقد جاد للتغير في الكيان الاجتماعى وبعمق واصالة التحول والتطور وبمعدلات التنمية لا بنقد الميتافيزيقيا •

واذا كان الدكتور يريد أن يوحى بأنه كان يعنى بهذا الاشتراكية في مصر فان هذا هو نوع النقد الذى كان أبعد ما ينطبق على مصر • • والذى لم يكن أحد ليتصور في ذلك الحين أنه ينطبق عليها بل ان هذه المبالغة والتطرف في النقد • • كانت أفضل ما يبعد الشبهة عن انها موجهة الى مصر •

وربما كان هناك في ذلك الحين من يعتقد أن الاشتراكية لم تقدم أى مكاسب للشعب أو ما يكفى من المكاسب للشعب ، ولكن لم يكن هناك من يمكن أن يدعى بأن الاشتراكية في مصر لم تقدم أى مكاسب للشعب أو لم

تقدم مكاسب واضحة للشعب •

وقد كان ممكنا اتهام عبد الناصر بكل التهم الا تهمة « التردد والخوار » كانت هذه آخر ما يمكن أن يوجه اليه والى سياساته فى الداخل والخارج • وقوانين يوليو الاشتراكية وما تلاها من تطبيقات هى الأولى من نوعها فى تاريخ مصر • لم تكن قوانين مترددة خائرة ولكن ضربة جذرية قاصمة • كانت نهاية العصر الرأسمالى فى مصر وبدأت السير نحو الاشتراكية بكل مصاعبه وتعقيداته •

وبالطبع كان آخر ما يمكن أن يوجه للاشتراكية فى مصر انها غيبية منافقة وقد كان عبد الناصر منذ البداية علمانيا يفصل الدين تماما عن السياسة • وعند اختيار الاشتراكية كان لديه الشجاعة أن يعلن « الاشتراكية العلمية » وهذا أول اعلان واختيار من نوعه يحكم فى الشرق العربى •

ينتقد الدكتور اشتراكيات العالم الثالث بانها «مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورات شعبية وهذا نقد سفسطائى وغير صحيح وكل اشتراكيات العالم الثالث كانت نتيجة ثورات وانتفاضات التحرير • وقد أخذت هذه أشكالا مختلفة فى البلاد المتخلفة ولكنها أدت الى الاستقلال وبعده كان على القيادات أن تختار بين الاشتراكية والرأسمالية •

والذين اختاروا كانوا القيادات التى منحتها الجماهير ثقتها وتأييدها لتحقيق الحرية ولم يكن ممكنا أو ضروريا أن

تسقطهم لتبدأ الاشتراكية من أسفل بقيادة أخرى •
وثورات التحرير في العالم الثالث مهما كانت اشكالها
ثورات وطنية شعبية • وليس هناك شعب يتحرر وطنيا أو
اجتماعيا من أعلى •

والاشتراكية تحدث تغيرات جذرية في ملكية وسائل
الانتاج وفي علاقات الانتاج وتقاس الاشتراكية بسلامة
وعمق هذه التغيرات كيفما تمت وهي تتم دائما بقيادة
الطليعة الثورية التي تمثل الشعب وتتمتع بثقته •

وإذا كان الدكتور يريد أن يوحى أنه يعنى التجربة
الناصرية ، فلا نظن ان كانت هناك تجربة في تاريخ مصر
لقيب « الشعبية » التي تمتعت بها التجربة الناصرية
حتى يوم ذهب عبد الناصر • ولم يكن حقا وعدلا أن
توصف أنها مفروضة من أعلى لم تنبع من الشعب وعاشت
منفصلة منفصمة عنه •

والتجربة الناصرية هي استمرار للثورة المصرية عامة
ولكل ثورات مصر وكانت ذروة الثورة الوطنية وبداية
الثورة الاجتماعية ولم تكن الاشتراكية غريبة أو غائبة
عن الثورة المصرية منذ بدايتها المبكرة • وكانت الثورة
الاجتماعية حادة ملحة في مصر • ولم يفرض عبد الناصر
الاشتراكية من أعلى ولكنه حقق مطلبها كان قد نضج تماما
في نفوس الجماهير وأصبح مطلبها أساسيا • والطليعة
الثورية تتخذ قرارات حاسمة هي استجابة لارادة الجماهير •

وقد باركت الجماهير قوانين يوليو كأمنية عميقة عاشت زمنها في نفوسها وأحاطتها بحماسها ولا تزال تحميها ولهذا لم تفرض الاشتراكية جوفاء مبتورة عقيمة من أعلى على المصريين كما نفى ذلك تماما وبمنفسه الدكتور فؤاد زكريا !

ولكن لو كان صحيحا أن الدكتور الشجاع أراد في ذلك الحين كما لم يستطع أحد من نقاده أن يقول أن هذه « اشتراكية غيبية انتهازية منافقة نفاقا رخيصا وانها جوفاء مبتورة لا تقدم مكاسب للناس وهي مترددة خائرة مفروضة من أعلى وليست نابعة من ثورة شعبية وتفتقر الى الأصالة الثورية ووقعت في يد طبقة جديدة انحرفت بها وتستخدمها » • فقد كان عليه بعد هذا مباشرة أن ينفذ يديه تماما وأن ينضم للمقاومة ضدها •

كان لابد لهذا المقال أن يكون مقرونا بخطاب استقالته من رئاسة تحرير مجلة الفكر المعاصر « الناصرية » وأن تكون هذه حيثيات الاستقالة •

ولم يكن ممكنا أن يخرج على الناس بعد ذلك بشهر واحد ببحث طويل وتحليل « علمي أمين موضوعي » ينتهي فيه الى نظرية جديدة هي « نظرية الامتلاء ضد نظرية الفراغ » ثم أن يسمح لنفسه أن يصدر الوثيقة الفكرية التي قدمت تقريبا للثورة بكل جوانبها في العدد الخاص من الفكر المعاصر •

ولقد نعى الدكتور على الشيوعيين أنهم تولوا المناصب
الآن « لب المشكلة » أن تولى اليساريين للمناصب معناه
أنهم أصبحوا يسيرون في طريق غير ذلك الذى نذروا
أنفسهم له وأن ارتباطهم بالسلطة وتكونهم جزءا منها كان
معناه تقديم تنازلات قد تكون بسيطة فى النهاية ولكنها
تزداد بالتدريج الى أن ينتهى الأمر الى مرحلة التبرير
المطلق لكل الأخطاء » ... ولكن الدكتور لا يخضع لكل
هذه الاعتبارات وهو فوقها جميعا !!

- وليس تناقضا قط أن يقول فى اكتوبر ١٩٧٠ شيئا ضد
ما يقوله فى نوفمبر ١٩٧٠ وأن يقول فى ١٩٧٠ عكس مايقوله
سنة ١٩٧٥ •

وراء النقد

ونقد اشتراكية العالم الثالث ووصفها بأنها غبية
ومترددة خائفة وانها من أعلى وانها تنتهى الى يد الطبقة
الجديدة صيغ معروفة ومنقولة ولها أصل !

ويظهور العالم الثالث ظهرت مدارس أوروبية جديدة
متخصصة في مشاكل العالم الثالث وكانت تضم فرقا من
المفكرين والسياسيين الأوروبيين وكان أكثرهم امتدادا
في شكل « يسارى » لعقد السيادة الأوروبية القديم وقد
أرادوا فرض نوع من الوصاية الفكرية والسياسية على
التجارب الجديدة الاشتراكية • ولهذا استغرقوا في النقد
والتقييم •

ومعظم هذا النقد كان نظريا مكتبيا وبعيدا عن الواقع
العام لبلاد العالم الثالث وعن الواقع الخاص لكل بلد فيه •
وكان بمقاييس مستمدة في أغلب الأحيان من الواقع
الأوروبى •

ولهذا كان نقدا يوجه الى كل تجربة وأى تجربة
وبنفس التهم وهى « الغيبية والتردد والفرض من أعلى
والطبقة الجديدة » حتى أصبحت مكررة معادة !

وهناك سيل من الكتب والنشرات والأبحاث تحوى آراء
الدكتور حرفية وموجهة الى الهند والى الجزائر والى
مصر والى بيرو بلا تفرقة • وهو قد كان له الفضل فى
النقل والتباهى فقط •

وبعض هؤلاء الاساتذة الغربيين كانوا أساتذة فقط
مهما تكن آراءهم أو كانوا باحثين عن أدوار أو مناصب فى
العالم الثالث • ولكن كثيرا منهم أيضا لم يكونوا بهذه
البراءة • وكانت هناك أجهزة كبيرة تعمل تحت شعارات
متطرفة أشد التطرف فى العالم الثالث ومهمتها أن تدفع
التجارب الاشتراكية الى الكارثة عن طريق الاندفاع
والمغامرة وذلك بأن تشن الحرب مثلا على الغيبيات أو أن
تتخذ خطوات متعجلة لا تتفق والواقع أو بأن تثير
الشك والصراع الحاد فى صفوف الاشتراكيين لتنتشر
التجربة حتى تسقط •

ويضع هؤلاء دائما مسوح الأساتذة الذين يريدون
ثورات نموذجية كاملة فى العالم الثالث كما لم تحدث فى
مكان آخر وينقل عنهم كثيرون بسلامة أو بسوء نية •
والنقد الحقيقى للاشتراكية فى أى بلد هو نقد الواقع
نقدا علميا لا نقل الصيغ وادعائها مع تسمية الأشياء
بأسمائها وذكر المراجع والمصادر أيضا !!
ويسأل الدكتور فى النهاية « كيف كان يكتب نقادى » •

والدكتور يعانى من « نرجسية بالغة » منذ أول كتاباته
ولا يقوى أحد سواه على هذا الافتتان بالذات •

ولكن لو كلف الدكتور نفسه بمراجعة بعض الجرائد
والمجلات أو بعض الكتب والدراسات التى كتبها الذين
يهاجمهم •• لبرد الكثير جدا من زهو الطاووس •

وهؤلاء دفعوا ثمننا غاليا لما كتبوه • ولم يصل معظمهم
الى رئاسة تحرير أو رئاسة قسم بل منهم من فقد هذه
المناصب ولكن كان لديهم النزاهة والموضوعية والشرف
لكى يقولوا الحقيقة دائما •

وهذه هى اخلاقيات المفكرين •
وهى أيضا أخلاقيات المواطن العادى •

قائمة
مطبوعات مكتبة مديولى
١ ميدان طلعت حرب بالقاهرة
تليفون ٩٧٥٤٢١

التمن مليه جنيه	اسم المؤلف	اسم الكتاب
—٣٥٠—	الجنرال ويشل	الليبي في مصر — تاريخ مصر من مارس ١٩١٩ الى نوفمبر ١٩٢٥
—٧٠٠—	محمد زكى عبد القادر	محنة الدستور تاريخ مصر من ١٩٢٣ الى ١٩٥٢
١٢٠٠	جاكوب لانودو	تاريخ الاحزاب والحياة النيابية في مصر ١٨٦٦ — ١٩٥٢
١٢٠٠	صبحى وجيدة	في اصول المسئلة المصرية
٢٥٠٠	د . عبد الخالق لاشين	سعد زغول ودوره في السياسة المصرية
—٧٠٠—	د . عبد العظيم رمضان	الصراع الاجتماعى والسياسى في مصر
—١٥٠—	محمود مراد	من الذى كان يحكم مصر
—٥٠٠—	حسنين كروم	عبد الناصر المقترى، عليه
—٣٠٠—	محمد صبرى	اللاثمود « شريعة بنى اسرائيل »

التمن القيم	اسم المؤلف	اسم الكتاب
٧٥٠ر-	د. محمود اسماعيل	قضايا في التاريخ الاسلامي
٧٠٠ر-	الفريق صلاح الحديدي	حرب الكوير في الميزان العسكري
٣٥٠ر١	جمال الفيطاني	حراس البوابة الشرقية
٧٠٠ر-	جمال الفيطاني	الزيتى بركات
١٠٠ر١	مجدى نصيف	الصومال ارض البخور والمطور
١٠٠ر-	سميحة رافع	الذاهب الفلسفية المعاصرة
٢٧٥٠ر١	عبد المنعم الحفنى	قلموس مصطلحات علم النفس
١٠٠ر١	فاروق شوشة	لغتنا الجميلة
٥٠٠ر١	بكرم التونسى	مقدمات بكرم التونسى
٣٥٠ر-	بكرم التونسى	يا مغريب
٣٥٠ر-	بكرم التونسى	على باب الجاهع
٣٥٠ر-	بكرم التونسى	شمس الاصيل
٣٥٠ر-	بكرم التونسى	ازهار والشتواتك
٦٠٠ر-	مفيد فوزى	استعماء لامعة
٤٠٠ر-	منير عامر	اغرب التجارب الانسانية
٤٠٠ر-	سيد شلبى	من حلو الكلام في المرأة

الاسم الكتاب	الاسم المؤلف	التميز مليم جنيه
ضحكات وتساالي الدعاء والاجابة اعتراقات عشيقاتي ليوناردو دافنشي البهاء بين يدي زرقاء اليمامة في البدء كان الصب أحلى ٢٠ قصيدة حب مسلولي أحمد اسماعيل أنا والناس جوابات جراجي القط عماليات الفضول أيام الحاف الولاية	سيد شلبي مؤاد علي رضا د . مصطفى محمود اسميونند فرويد إمل دنقل محمد الجيار طاروق شوشة صالح جودت الابنوددي الابنوددي الابنوددي الابنوددي الإبنوددي محمد يوسف القعيد هومبروس	— ٦٠٠ — ٧٠٠ — ٢٠٠ — ٥٠٠ — ٤٥٠ — ٨٠٠ — ٨٠٠ — ٨٠٠ — ١٠٠ — ٢٥٠ — ٢٥٠ — ٢٥٠ — ٥٠ — ١٥٠ — ٤٠٠ — ٢٠٠

طبع بمطابع مؤسسة دوز اليوسف

رقم الايداع ٧٦/١٩٧٠

IEBN

الترقيم الدولي ٩ - ٠٠٤ - ٣٢١ - ٩٧٧

مطابع
مؤسسه
روزنامه‌نگاری



هذه الحملة المظلمة والمتجنسية على عبد الناصر ليست حملة على شخصه وإنما على مبادئه وتراثه وكل ما يمثلته .
وهى أولا وأخيرا حملة على الثورة لحساب قوى الثورى المضادة .
وهى حملة على الاشتراكية لحساب الرأسمالية والاستغلال .
وهى حملة على السيادة والوطنية لحساب التبعية والاستعمار الجديد .
وهى حملة على القومية العربية لحساب الرجعية والاقليمية ..
وكل الاعداء التاريخيين للعرب .
ومهما استأسدت الا أنها تظل حملة مفلسة وخاسرة .. محكوم عليها .. ضد مصر وروح العصر وطبيعة الاشياء .
وقد يقوم بها كتاب وصحفيون مدانون ، وقد يقوم بها مشحونون يتسترون بالدين أو أسانذة ودكائنة باسم العلم والمنهج . ولكن لا يغير هذا شيئا . ولا تختلف النتيجة .
والشعب بفطرته ووعيه يعرف أبناءه وأبطاله .. ولا ينخدع .
وفى هذا العصر لا يستطيع أحد أن يزيف كل الحقائق لكل الوقت على كل الناس .. مهما كانت موارده أو مواهبه .. !

Bibliotheca Alexandrina



0228922

مطابع مؤسسة روز اليوم

الشمس ٦٠ قرشا